بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين .

و بعد ! فهذه الرسالة التى نتشرف بتقديمها و نتقرب إلى الله بعرضها ، فصل أضيف إلى كتابنا « النبوة و الأنبياء فى ضوء القرآن » وهو مجموع محاضرات ألقاها المؤلف فى الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة فى ذى القعدة ١٣٨٢ه وقد كانت ست محاضرات حضرها و استمع إليها أبناء الجامعة و أساتذتها و نخبة من كبار العلماء وأعيان المدينة، وتلقيت بالقبول وحسن الاصغاء وصدرت ثلاث طبعات للكتاب أولاها فى لكهنؤ و الثانية فى القاهرة ، و الثالثة فى بيروت ، والطبعة الرابعة فى طريقها إلى الصدور فى دمشق .

و كانت طبيعة الموضوع تقتضى أن يكون البحث فى اختتام النبوة و كون محمد رسول الله ﷺ هو آخر الرسل و خاتم النبيين ، هو نهاية المطاف فى هذا الكتاب و مسك الختام ولكن

المؤلف أعجلته الظروف عن الحديث فى هذا الموضوع الذى لا يقبل المر السريع و النظر العابر ، و كان يتحين فرصة يتفرغ فيها لهذا الموضوع الجليل و ينصف له إنصاف رائد للحق و باحث على ، و تحول مسؤلياته الدعوية وأشغاله التأليفية دون تحقيق هذه الرغبة حتى مضى على ذلك أكثر من عقد من السنين .

وقد أثار بعض المغرضين فى الزمن الأخير حول هذه العقيدة نقعا و جعلوها من القضايا التى تحتاج إلى عرض جديد و إقناع مزيد بعدما كانت قضية مسلمة بديهية . وقد كان المؤلف يشعر بمسؤليته فى هذا المجال العلى ويشعر برغبة قوية فى الاسهام فى هذا الموضوع مع كثرة ما كتب فيه فى أوائل هذا القرن و منتصفه .

و قد كان من الممكن أن يتأجل ذلك لوقت آخر و لكن القضية دخلت فى الزمن الأخير فى المرحلة الحاسمة التى لا تحتمل تأجيلا ، و أصدرت أكبر مملكة إسلامية حكمها فى هذه القضية (١) ذات

---

(١) المراد بها حكومة باكستان التى أعلنت فصل القاديانيين عن المسلمين : و اعتبارهم أقلية غير مسلمة : و مما يجب الاعتراف به أن رابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة قد كان لها دور إيجابى و فعال فى إنارة العقول حول القاديانية و تزويد العالم الاسلامى بالمعلومات الصحيحة كما كان لعلماء باكستان - و فى مقدمتهم و على رأسهم العلامة محمد يوسف البنورى و زعماء الجمعيات الاسلامية - فضل كبير فى فى الوصول إلى هذه النتيجة التى كان المسلمون يتوخونها منذ زمن بعيد .

الصلة العميقة الوثيقة بمصير الأسلام و المسلمين ، و مستقبل هذا الدين ، وإن كانت القضية قد انتهت على الصعيد الحكومى والادارى فانها فى حاجة إلى أن تنتهى على الصعيد العلمى و الفكرى ، وليس هذا البحث الذى يراه القارئ إلا محاولة لتحقيق هذا الغرض و مساهمة من جندى صغير فى جهاد كبير .

وننشر هذا الفصل مفرداً لتعم الفائدة ، ونسأل الله أن ينفع به الاسلام و المسلمين و يزيدهم إيماناً إلى إيمان و يقيناً إلى يقين و يداوى بها القلوب المريضة والعقول الزائغة إنه ولى التوفيق

أبو الحسن على الحسنى الندوى

المجمع العلمى الاسلامى

ندوة العلماء ، لكهنؤ (الهند)

١٧/ من شوال المكرم ١٣٩٤هـ

٢٤/ من أكتوبر ١٩٧٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

النبي الخاتم

دين يبلغ ذروة الكمال ، و أمة
تضطلع بأعباء خلافـة النبوة :

تمت إرادة الله العليمة الحكيمة ، القـادرة القاهرة ، فى ابلوغ بهذا الدين ـ الذى سماه الاسـلام ـ إلى حيث أرادته حكمته و رحمته ، و اقتضته حاجة البشرية على اختـلاف الزمان و المكان ، و بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرسالة ، و أدى الأمانة ، و جاهد فى الله حق جهاده ، وربى أمة تقلدت مهام النبوة ومسؤلياتها من غير نبوة ، و كلفت النهوض بالدعوة ، و صيانة الدين من التحريف ، و الوصاية على العالم ، و الحسبة عـلى البشرية في كل زمان و مكان ، و فى كل عصر و مصر ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله (١) .

و تحقق فى علم الله ، و فى قضائه و قـدره وجود خلفاء الرسل ، وأئمة الهدى ، وأطواد فى العلم واليقين ، ينفون عن هذا

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

الدين فى كل زمان « تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » و أخبر بذلك لسان النبوة ، فقال : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرينَ على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله و هم كذلك (١) .

إعلان انتهاء سلسلة النبوة على محمد صلى الله عليه و آله و سلم و انقطاعها بعده :

و لما تحقق كل ذلك فى عالم التكوين و التشريع ـــ و قد سبق به علم الله و قضاؤه ـــ أعلن انتهاء تعليم البشر العقائد و الشرائع ، و ما تتوقف عليه سعادتهم فى الدنيا ، و نجاتهم فى الآخرة بالنبي الذى يأتيه الوحى من الله عن طريق جبريل « الروح الأمين » خاصة ، و الملائكة عامة (٢) .

و ذلك معنى النبوة ، فيقول الله تعالى . « ينزل الملائكة

---

(١) رواه مسلم عن ثوبان .

(٢) يظهر من تتبع الآيات القرآنية ، والسنة الالهيه فيما يختص بالأنبياء المرسلين أن جبريل هو الواسطة غالباً . و فى عامة الأحوال بين الله تبارك و تعالى : و بين الأنبياء فى وحى النبوة و الشرائع ، و تدل على ذلك دلالة واضحة الآيات التى نقلناها ، و لكن أكثر المتكلمين و من صنف فى العقائد لم ينوهوا بكون جبريل هو الواسطة الغالبة فى شأن النبوة و الرسالة و اقتصروا على ذكر الوحى .

بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون » (١) ، و يقول : « و إنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين (٢) » ، و يقول : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب . أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء إنه على حكيم (٣) » ، ويقول : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين (٤) » ، ويقول : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ، و هو بالأفق الأعلى (٥) » ، و يقول : « قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه و هدى و بشرى للمؤمنين (٦) » ، و يقول : « إنه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين ، و ما صاحبكم بمجنون ، و لقد رآه بالأفق المبين و ما هو على الغيب بضنين ، و ما هو بقول شيطان رجيم (٧) » .

---

(١) النحل : ٢ . (٢) الشعراء : ١٩١ — ١٩٥ .

(٣) سورة الشورى : ٥١ ، و ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بقوله : و يرسل رسولا ، الملك .

(٤) سورة النحل : ١٠٢ . (٥) النجم : ٣ - ٧ .

(٦) البقرة : ٩٧ . (٧) سورة التكوير : ١٩ - ٢٥ .

أما العلوم الوجدانية و التلقائية ، و الحكم و المعـارف ، وبعض الأخبار التى يلهمها بعض النفوس الزكية أوأصحاب الرياضات و المجاهدات ، و الغواصون فى العلوم و الحقائق ، وما قد يسمعه بعض الناس من هواجس و نداءات غيبية ، فليست من النبوة فى شئ ، و قد يسمعها بعض أصحاب الرياضات من غير المسلمين ، وقد استفاض ذلك ، فانكاره من المكابرة ، وليست دليلا للهداية ، فضلا عن النبوة والرسالة ، وقد صح فى حديث صحيح أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال : « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء (١) » ، و أعلن أن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ .

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة فى مناقب عمر رضى الله تعالى عنه .
قد صرح الشيخ محى الدين ابن عربى الحاتمى الطائى الأندلسى (م ٦٣٨هـ) بأن إلهام الأولياء وأصحاب الرياضات محصور فى العلوم والأخبار ؛ لا فى الأحكام و الشرائع ؛ و ما كان من ذلك فلا يعتمد عليه ؛ و لا يعبأ به أصلا (راجع « الفتوحات المكية » باب ٣١٠ ؛ ج ٣ ص ٥٠ و ج ٢ ، باب : ٢٨٣ , ص ٨٢٣) .
وقال شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية (م ٧٢٨هـ) فى كتاب النبوات بعد ما ذكر أن الوحى يتناول وحى الأنبياء وغيرهم، كالمحدثين الملهمين « فهولاء المحدثون الملهمون المخاطبون يوحى إليهم هذا الحديث الذى هو لهم خطاب وإلهام ؛ و ليسوا بأنبياء معصومين مصدقين فى كل ما يقع لهم . فانه

و ذلك كله فى عبارات صريحة مكشوفة ، لا يتطرق إليهما شك ، و لا ترتقى إليها شبهة ، و لا يجد متسعاً للنقاش فيهما . وإثارة الشكوك حولها إلا من فى قلبه مرض، أوكان له غرض.

أساليب القرآن و طرقه فى تقرير هذه الحقيقة و غرس هذه العقيدة :

و اتخذ القرآن لذلك أساليب متنوعة بليغة ، عميقة الأثر فى النفس ، كبيرة القيمة عند العقل .

منها ما يختص بصاحب الرسالة الذى ختم به الأنبياء، وانتهت عليه سلسلة النبوءات ، فقال :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شئ عليما » (١) . و قد استخدم القرآن لغرس هذه العقيدة و الفكرة لغة و تعبيرات ألفها العرب الذين نزل فى لغتهم القرآن ، و كلفوا فهمه ، ثم تبليغه إلى العالم

= قد يوسوس لهم الشيطان بأشياء لا تكون من إيحاء الرب ؛ بل من إيحاء الشيطان ، و إنما يحصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء إلخ ص ٦٧) .
و قد توسع فى هذا الباب محققو الصوفية ، و أئمة المعرفة و التحقيق ؛ و من أراد التفصيل فعليه بكتب القوم ؛ خاصة رسائل الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى (م ١٠٣٤ هـ)

(١) الأحزاب : ٤٠ .

وهى اللغة التى كانوا يتفاهمون بها ، ويقضون بها حاجة فى نفوسهم و لم تكن فى لغتهم - على سعتها و غناها - كلمة أدل على مفهوم الانتهاء و الاكمال من كلمة « الخاتم » وذلت به ألسنتهم فى حديثهم و شعرهم ، و لا تعرف لغتهم للخاتم والختام و الختم معنى غير ما أراده القرآن من أن رسول الله ﷺ هو آخر الرسل و خاتم الأنبياء الذى لا نبي بعده (١) .

صفات لا تليق إلا بالنبي الخالد و الرسول الخاتم :

و كذلك قد وصف القرآن صاحب الرسالة الأخيرة الذى ختم به الأنبياء بصفات تشير إشارة بليغة إلى خلود رسالته ، وكونه قدوة صالحة ، و أسوة حسنة ، فى كل عصر و جيل ، و لكل طبقة من الناس ، من غير تقييد بزمان أو مكان ، فقال : لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر ، و ذكر الله كثيراً » (٢) ، و قال : « قل إن كنتم

---

(١) راجع « لسان العرب » لابن منظور . و «صحاح العربية» للجوهرى . و «المحكم» لابن سيدة . و « القاموس المحيط» للفيروزآبادى . و شرحه « تاج العروس » للزبيدى . و المراجع اللغوية و كتب التفسير المعتمد عليها .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم و الله غفور رحيم » (١) وقال : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه و سراجاً و منيراً » (٢) .

و ليس من عادة العقلاء ، و الأدباء البلغاء - فضلا عن العليم الخبير ، علام الغيوب - أن يسبغوا على ملك راحل و سلطان زائل نعوتاً و ألقاباً لا تليق إلا بمن استقر حكمه ، واستتب أمره . وليس من عادة الحكماء الذين ينظرون فى عواقب الأمور ، و يزنون الكلام وزناً دقيقاً أن يبالغوا فى التهنئة على مولود عرفوا أن حياته قصيرة و أنفاسه معدودة (٣) .

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب : ٤٦ .

(٣) لذلك أنكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن يكون إسحاق هو الذى أمر أبوه إبراهيم بذبحه ، فان ذلك يتنافى مع حكمة الله تعالى فى التبشير ببقاء ذريته ، وقد قال كما نقله تلميذه ابن قيم : « و كيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق ، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به و بابنه يعقوب ؛ فقال الله تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لابراهيم لما أتوه بالبشرى : « لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة ، فضحكت فبشرناها باسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب » فمحال أن يبشرها بأنه يكون له ولد ، ثم يأمره بذبحه » (زاد المعاد ج ١ ص١٦)

القدوة الدائمة للأجيال البشرية كلها ، و كيف أمكن ذلك ؟

ولما كان محمد رسول الله ﷺ هو القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة لطبقات الناس جميعاً ، و للأجيـال البشرية على اختلاف الزمان و المكان ، اتجهت عناية الله إلى حفظ أخباره و آثاره ، و صفاته و أخلاقه و عاداته ، و تصرفاته ، و صرف الله قلوب المسلمين إلى تتبع كل ما يصدر عنه من حركة و سكون ، و أخذ و رد ، و عادة وعبادة ، و ألهمهم الاعتناء به اعتناءاً لا مزيد عليه ، كأن سائقاً يسوقهم إلى ذلك .

و قد تجلت هذه العناية الالهيـة بكل وضوح فى الحديث و السيرة ، وفى كتب الشمائل ، وفيما أثر عن الوصافين الحاذقين من أصحابه و أهـل بيته ، فى صفتـه التى لم تحفظ كتب الآداب و التاريخ والأنساب صفة أكثر منها دقة ، و أعظم منها استيعاباً للملامح البشرية ، و الدقائق الخلقية ، ولنظرة عابرة فى شمائل الامام أبى عيسى الترمذى (٢٠٩ / ٢٧٩هـ) ــ على سبيل المثال ــ تكفى للايمان بأن هذا الاهتمام البليغ الخارق للعـادة بتسجيل دقائق الخلق و الخلق ، و العادات و العبادات ، و الأقوال و الأفعال و كل ما يتصل بهـذه الشخصية الكريمـة اتصالا يتصوره الذهن

الانسانى ، و فى بسط و تفصيل ، لا نظير لهما فى سير الأنبياء ، و لا فى تاريخ العظماء (١) لم يكن مجرد مصادفة ، و لا وليد الاتجاه الشخصى ، و العمل الفردى . و كذلك من تصفح كتاب « الأدب المفرد » للامام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (١٩٤ ٢٥٦هـ) الذى خصه مؤلفه العظيم ، بما ورد فى الآداب الاسلامية ، و مكارم الأخلاق ، و حسن العشرة و الاجتماع ، و حقوق الصحبة ، و تهذيب النفس ، وأدب الحياة ، معتمداً فى كل ذلك على ما صح عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، و نقل عنه . علم علم اليقين أنها لم تكن فلتة من فلتات الدهر ، إنما هو تقدير العزيز العليم ليتحقق العمل فى كل عصر و جيل ، بقوله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » وقوله

---

(١) وقد عنى علماء الأمة الاسلامية بجمع التفاصيل الدقيقة عن الحياة النبوية . والتراتيب الادارية . والحرف والصنائع والمتاجر و المناصب وأنواع العلوم و المشخصات التى كانت على عهد تأسيس المدنية الاسلامية النبوية عناية لا مثيل لها فى أمم السابقين وحسب القارى أن يقرأ كتاب « التخريج » لأبى الحسن على الخزاعى التلمسانى (٧١٠ - ٧٨٩هـ) وتهذيبه و تكميله للعلامة الشيخ عبد الحى الكتانى الذى أسماه « التراتيب الادارية » ، وهو موسوعة فى كل ما تهم معرفته عن عصر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم . و الحياة فيه .

« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ، و لئـلا يكون لمتعلل بانقراض الآثار ، و انقطاع الأخبار عذر فى ترك الائتساء و الاقتداء كما هو الشأن فى قضية الأنبياء الذين لم يبق لبعضهم إلا الاسم ، أو أخبار مبتورة لا تكفى للاقتداء و الاقتفاء .

أما الحديث النبوى فيصح أن يسمى « سجل الوقائع اليومية » و شبه مذكرات ـ إذا صح هذا التعبير ـ لمدة ثلاث و عشرين سنة قضاها النبي صلى الله عليه و آله و سلم ـ بعد ما أكرمه الله بالنبوة ـ على ظهر الأرض ، ترينا كيف كان الرسول صلى الله عليه و آله وسلم يعيش فى هذه الحياة ، كيف كان يقضى نهاره و ليله، و نعرف عنه من دقائق الأخلاق والعادات ، و الميول والرغبات ، و القول والعمل ما لا نعرفه عن كثير من الشخصيات التى عاشت قريباً ، بل عن الشخصيات المعاصرة أحياناً ، وهو مجموع صور ناطقة يتعرف بها الانسان بنبيه ، و يسعد بصحبته ، و يتبرك بأنفاسه ، و كأنه حضر مجلسه ، و استمع لحديثه ، و عاش معه ، و كان ذلك أبعث على الاقتداء ، وأبعد عن مضار الوثنية ، وعبادة التماثيل ما جرت عليه الأمم القديمة ، من تصوير أنبيائها و نحت تماثيلهم .

وحسب القارئ أن يقرأ قصة حجة الوداع فى كتب الحديث ، فقد سجل الرواة فيها كل دقيقـة من دقائق هـذه الرحلة ، و كل

حادث من حوادثهـــا التي لا تسترعى الانتباه ، و ليست لها قيمة تاريخية كبيرة ، و لا يحتفل بأمثالها فى رحلات العظماء و الرؤساء و الملوك و الأمراء . و العلماء و النبغاء (١) .

و بفضل هذه الثروة الحديثية استطاع المؤلفون الحاذقون فى مختلف العصور والبقاع أن يؤلفوا للمسلمين كتباً تكون دستوراً كاملا لحياتهم ، حتى إذا أراد المسلم - مهما كانت مهنته و طبقتـه - ألا يخطو خطوة و لا يبت فى أمر ، و لا يمارس نشاطـــه إلا فى ضوء الهـدى النبوى ﷺ أمكنـه ذلك ، و الكـتب التى ألفت فى هذا الموضوع كثيرة ، وفى أكثر لغات العالم الاسلامى و هى بين بسيط ووسيط ووجيز ، أحسنها « زاد المعـاد (١) فى هدى خير

---

(١) اقرأ فى كتب الصحاح تفاصيل تطييب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حجة الوداع عند الاحرام وإشعاره لهديه واحتجامه وتحديد مكانه من الجسم وموضعه من الطريق وتحديد المنازل بين المدينة و مكة ولم يفت الراوى أن يقيد خروج حية ليلة منى و إفلاتها من القتل و أسمـــاء من كان رديف رسول الله صلى الله عليه و سلم فى هذه الرحلة بـل من أردفهم رسول الله صلى الله عليـه و آله و سلم فى حياته كلها .

(٢) قد صدرت للكـتاب عدة طبعات فى مصر والهند . و أمامنا طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٤هـ و قد تم الكـتاب فى مجلدين ضخمين و فى ٩٢٦ صفحـة بالقطع الكبير و الحرف الدقيق . و الكـتاب مكتبة فى السيرة و الحـديث و الفقه ، و قد تلقاه علماء كل عصر بالقبول .

العباد» للعلامة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالملك المشهور بابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ه) أنبغ تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية ، و أحد أعلام الأمة .

و يتجلى هذا السر الالهي في وضوح هذه السيرة و خلودها و كونها بمتناول المؤتسين و المقتدين ، إذا قارن الانسان بين هذه السيرة و بين سير الأنبياء السابقين و حياتهم ، فأكثرها توارت في ظلمات الجهل و الاهمال ، والحوادث التاريخية الدامية ، وقد أدت رسالتها في فترة زمنية خاصة ، ومشى في ضوئها الجيل الذي كلف اتباعهم ، ثم لم تبق حاجة إلى الاحتفاظ بها ، و إلى أن تتوارثها الأجيال ، و يكفينا أن نستعرض حياة سيدنا المسيح عليه و على نبينا الصلاة و السلام ، فكان آخر الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه و آله و سلم ، و تنتسب إليه أمة عرف شغفها بالعلم و التأليف ، و إفراطها في حب نبيها ، وإطراؤها له إطراءً بلغ حد التأليه و التقديس ، و لكنها لم تستطع أن تعرض على العالم إلا نتفاً من أخباره و أقواله التي لا تكون هيكلا من حياة بشرية كاملة ، يقلده الانسان في حياته الفردية ، أو يسير في ضوئه مجتمع فاضل ، و قد كان الاعتقاد السائد في العالم المسيحي قبل أيام أن « العهد الجديد » يتضمن أخبار السنوات الثلاث الأخيرة من

سيرة المسيح وأخباره ، فانتهى تحقيق الباحثين وأصحاب الاختصاص فى الموضوع فى الزمن الأخير إلى أنها لا تتجاوز أخبار خمسين يوماً من حياته ، لا أكثر و لا أقل (١) .

أما الأنبياء الآخرون ، و عظماء الملل و الديانات السابقة ، فيصح القول بأن أخبارهم وصور حياتهم مطمورة فى ركام الماضى، وهنالك حلقات رئيسية لا يكمل بغيرها التاريخ ، ولا يتسنى بدونها الاقتداء و التقليد ، مفقودة لا يمكن البحث عنها ، والاهتداء إليها فى هذا العصر المتأخر (٢) ، و هذا عين ما تقتضيه الحكمة الالهية و منطق الأشياء ، فالمثل الانسانية لها أعمار طبيعية ، و حيوية محدودة ، فاذا انتهت لم تكن مصلحة فى تناقلها ، أما ما كانت الحاجة إليه قائمة دائمة فبقى على اختلاف الزمان و المكان ، واستمر و انتشر ، و أورق و أثمر .

---

(١) يقول القس الفاضل الدكتور شارلس اندرسن إسكات فى مقال له فى دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة ج : ١٣ ص : ١٧١٠ « ينبغى أن يتنازل الانسان عن محاولة وضع كتاب فى سيرة المسيح ، بكل صراحة. فانه لا وجود للمادة و المعلومات التى تساعد على تحقيق هذا الغرض ، و الأيام التى توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوماً .

(٢) اقرأ للتفصيل الكتاب القيم « الرسالة المحمدية » للعلامة السيد سليمان الندوى المحاضرة الثانية و الثالثة و الرابعة .

صلة الأمة الوثيقة الدائمة بمحمد صلى الله عليه و آله وسلم ، وما يتصل به :

و من قرأ ما ورد من الآداب و الأحكام عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم فى سورة الأحزاب ، وفى سورة الحجرات، و فى سورة التحريم ، وفى سورة المجادلة ، و ما ورد من تكريم الله تعالى له و نعمه عليه ، فى سورة الفتح ، و سورة الضحى ، و الانشراح ، عرف بدلالة العقل و سلامة الذوق أنها نعوت نبي قد بعث للأجيال كلها ، و للعصور كلها ، و أن شمس رسالته لا تقبل الكسوف و أن نجمه لا يقبل الأفول ، و لا شك أن بعثة نبي و لولم يأت بشريعة جديدة ، تتنافى مع الحكمة الالهية فى هذا الثناء العاطر ، و الوصف البالغ لمحمد ﷺ ؛ و ربط الأمة ربطاً وثيقاً دائماً بهذا النبي الكريم ، وتعاليمه و أسوته ، و أصحابه و أهل بيته ، والأرض التى ولد فيها و نشأ ، و دعا فيها الناس إلى الله و شعائر الله فيها ، ولاشك أن النبي الذى يبعث بعده ، أو يدعى النبوة ، يحول بين الأمة و نبيها الأول أراد ذلك أو لم يرد ، و يضعف صلتها به (صلى الله عليه وآله و سلم) شعر بذلك أو لم يشعر ، و تلك طبيعة الأشياء ، و خاصة الفطرة البشرية ، و قد أثرت عقيدة الامامة عند الشيعة الامامية فى صلة

هذه الطائفة بالنبي ﷺ ، فتحول تيار الحب و العاطفة ، والحماس و الاندفاع إلى الأئمة الاثنى عشر - رحمهم الله تعالى - و تجلى ذلك فى مجال التأليف و التصنيف ، و الأدب و الشعر ، و شد الرحال إلى المشاهد و الهيام بها ، وأصبح الولاء للأئمة ، والحب لعلى بن أبي طالب ، و ابنه الحسين - رضى الله تعالى عنهما - هو شعار هذه الطائفة و دثارها ، قد ملأ كل فراغ فى العقيدة و العاطفة و الحماس ، فما ظن العاقل بنبي يبعث فى هذه الأمة أو غيرها ، فى عصر من العصور ، ألا ينافس الولاء له ، والانضواء إلى رايته ، حب الأمة لنبيها محمد ﷺ ، و كل ما يتصل به ويعزى إليه من تعاليم ، وسنن وهدى ، و أصحاب ولغة وآدابه ، و تاريخ وحضارة ، إنه ناموس من نواميس الفطرة التى لا تتغير .

و ذلك عكس ما فهم من الضرورة بالدين ، و دل عليه القرآن ونطقت به السنة المتواترة ، فقد جاء فى الحديث الصحيح ، « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (١) » ويقول القرآن : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم (٢) » .

---

(١) رواه الشيخان و النسائى . و فى بعض الروايات « من نفسه » .
(الطبرانى فى معجميه الكبير و الأوسط)

(٢) سورة الأحزاب : ٦ .

وصف القرآن للرسالة المحمدية و مـــا يقتضى ذلك :

و من هذه الأساليب القرآنية ، ما جاء فى وصف الرسالة التى حملها الرسول ﷺ إلى الخلق أجمعين ، و الشريعة التى جاء بها ، فهو من أكبر الأساليب و الدواعى لهذا الاعلان الصارخ ، المبرر بل الموجب لانتهـــاء سلسلة النبوءات والرسالات السماوية على محمد ﷺ ، فصرح القرآن بلسان عربى مبين ، لا غموض فيه ولا لغز ، بأن هذا الدين قد بلغ طوره الأخير من الكمال ، والوفاء بحاجات البشر ، و الصلاحية للبقاء و الاستمرار ، فقال : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى ، و رضيت لكم الاســـلام ديناً (١) .

وقد نزلت هذه الآية يوم عرفة فى حجة الوداع سنة عشر للهجرة ، و لم ينزل بعدهـــا - كما تقول أكثر الآثار - حلال و لا حرام ، ولم يعش رسول الله ﷺ بعد هذا اليوم إلا إحدى و ثمانين ليلة ، و قد فهم كبار الصحابة الذين كانوا من أعرف الناس بأسرار هذا الدين ، و مقاصد التشريع ، و أقرب النـاس إلى صاحب الرسالة ﷺ ، و أعظم الناس حباً له ، وحرصاً على

---

(١) المائدة : ٣ .

بقائه ، كان فى مقدمتهم أبو بكر و عمر ، دنو ما كانوا يحذرونه من مفارقة رسول الله ﷺ ، و لحوقه بالرفيق الأعلى ، فقد بلغ رسالة الله ، و كمل الدين ، وتمت نعمة الله على عباده ، فمنهم من بكى ، ومنهم من تنبأ بدنو هذه الساعة (١) ، و فهم علماء اليهود الأذكياء الذين كانوا من أعرف الناس بالعلم القديم ، و تاريخ الديانات ، أنها كرامة خص بها المسلمون ، و مفخرة لهذا الدين ، لا يشاركه فيها دين آخر ، و رأوا أن اليوم الذى نزلت فيه هذه الآية جدير بأن يخلد ، و يحتفل به على مر العصور ، ويبدى فيه المسلمون سرورهم و امتنانهم (٢) .

و هكذا فهمها رسول الله ﷺ ، و هو الذى نزلت عليه هذه الآية ، فقال فى خطبته يوم حجة الوداع ، ينصت إليها أكثر من مأة ألف إنسان ويحفظونها « أيها الناس ! إنه لا نبي بعدى ، و لا أمة بعدكم ، ألا فاعبدوا ربكم ، و صلوا خمسكم ، وصوموا شهركم و أدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم ، و أطيعوا ولاة أمركم ، تدخلوا جنة ربكم (٣) .

---

(١) راجع كتب الحديث و السيرة و كتب التفسير .

(٢) راجع صحيح البخارى : كتاب التفسير . و الصحيح لمسلم و جامع الترمذى و سنن النسائى و مسند أحمد . و راجع تفسير ابن كثير .

(٣) أخرجه ابن جرير فى « تهذيب الآثار » و أخرجه ابن عساكر .
(« كنز العمال » ج : ٥ ص ٢٩٥ طبعة حلب)

و كذلك صرح القرآن بأن هذا الدين قد قدر له البقاء ، و الغلبة و الانتشار ، و أنه سيبلغ ذروة المجد و العز ، و تعلو كلمته ، و يمتد ضوؤه ، و يتبين صدقه ، فقال : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ، ليظهره على الدين كله ، و كفى بالله شهيدا (١) ، و قال : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ، ليظهره على الدين كله ، لو كره المشركون» (٢) ، وقال : يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره و لو كره الكافرون » (٣) ، و كل هذه الكفالات ، و الضمانات ، و النبوءات ، و الاعلانات ، تدل بدلالة النص و إشارته على أن هذا الدين هو رسالة الله الأخيرة ، و حاجة البشرية كلها ، على اختلاف العصور و الأمصار ، و أن الله هو بالغ أمره فيه ، كره الناس ذلك أو أحبوه ، و سالمه الحساد و المعارضون أو حاربوه ، و كل ما كان ذلك شأنه ، و وردت فيه هذه الأخبار الصادقة ، و التحديات البالغة فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، لا يقبل العقل السليم أن يقبل النسخ و التغيير ، أو يحتاج إلى نبي جديد ، و رسول مبعوث .

---

(١) سورة الفتح : ٨ .

(٢) سورة الصف : ٩ و سورة التوبة : ٣٣ .

(٣) سورة الصف : ٨ .

عموم الرسالة المحمدية للأمم و الشعوب والطبقات ، واستغناؤها عن تطوير وتعديل :

و كانت الديانات السابقة ، و الرسالات القديمة ، بعضها محدودة فى شعب ، أو مختصة باقليم ، أو خاصة بفترة زمنية ، قصيرة أو طويلة (١) ، و لم تكن الديانة اليهودية فى زمن من الأزمان دعوة عامة للخلق ، و لم يكلف اليهود - فى ضوء من نصوص كتبهم المقدسة - تبليغ الرسالة إلى الأمم جميعاً ، بل وردت نصوص تمنع عن ذلك ، و تحصر نشاطهم الدعوى فى نطاقهم العنصرى المحدود (٢) ، وكان من الطبيعى والمعقول جداً أن يميزوا دائماً بين بنى إسرائيل و بين الشعوب و القبائل الأخرى ، و أن يضعوا للخير و الشر ، و البر و الاثم ، مقاييس مختلفة ، تختلف باختلاف السلالات و الشعوب .

تقول السيدة الفاضلة المهتدية مريم جميلة Margaret Mareus اليهودية سابقاً ، فى كتابها « الاسلام إزاء أهل الكتاب ماضياً

---

(١) و قد وردت فى « العهد القديم » نصوص و تصريحات بأن رسالات أنبياء بنى إسرائيل كانت مؤقتة و مختصة بزمان خاص ، اقرأ على سبيل المثال (١٨ :١٥) (١٨: ١٨) و(٣٣ : ١-٢) من سفر التثنية فى التوراة ونبوة أشعياء الأصحاح ٤٠ و سائر أسفار بنى إسرائيل والزبور و الأناجيل مملوءة بمثل هذه النصوص .

(٢) راجع كتاب الخروج باب ٣ و كتاب الاستثناء باب ٣٢-٤ .

و حاضراً » باللغة الانجليزية : « ليس أن اليهود لا يبلغون دينهم إلى غيرهم عملياً ، بل إنهم لايرحبون بالدخول فى ديانتهم ، و لا أعرف إلا مثالين فى تاريخهم الطويل حين دخل غير اليهود فى اليهودية فى عدد كبير، كان ذلك مرة فى اليمن ، فى زمن سبق البعثة المحمدية ببضعة قرون ، و مرة ثانية لما اعتنق عدد من غير اليهود الديانة اليهودية فى مملكة خزار التاتارية الأصل ، التى عاشت مدة قصيرة فى روسيا (١) » .

و يدل على ذلك دلالة واضحة الأسلوب الذى ألف فيه « العهد القديم » الموجود فى أيدينا اليوم ، و الروح التى تسيطر على كل سطر منه ، فيشعر القارئ لهذا الكتاب بأنه يطالع ملحمة اليهود ، أو كتاب مناقب اليهود ، أو كتاب الأنساب الخاص بهم ، و لا يجد فيه من تعليمات خلقية و روحية ، و من حث على مكارم الأخلاق العامة و المساواة بين البشر ، و الاعتراف بكرامة الانسان ، و حث على الزهد ، و تهذيب النفس، و إيثار الآخرة على الدنيا ، و اللهج بذكر الجنة و نعيمها ، و التخويف من النار و عذابها ، ما يهذب النفس و يرقق القلب ، ويشعره بكرامته و مسؤليته إذا كان ينتمى إلى سلالة غير إسرائيلية ،

---

(١) Islam vreses ahalkitab Past and Present (22-23) .

فالكتاب بقصصه و أخباره و أحكامه ، يدور حول اليهود الذين يعتبرهم دينهم و كتابهم « شعب الله المختار » .

و كذلك كانت دعوة سيدنا المسيح خاصة لبنى إسرائيل ، وقد صرح بأنه لم يبعث إلا ليرعى خراف بنى إسرائيل الضالة (١) و اقتصرت رسالته على قراهم و أرضهم ، والمنسوبين إليهم ، ولما لفت نظره إلى من لم يتصل ببنى إسرائيل بنسب أوبقرابة فاستعطف عليه ، قال : إنى لست ذلك الرجل الذى يعطى خبز الأولاد للكلاب (٢) » .

أما أمر الديانات الشرقية الآسيوية ، كالبرهمية الهندية و ما شاكلها فأمرها أدهى و أمر ، وكانت تعتبر فى غالب الأحيان غير الآريين و غير البراهمة أنجاساً مناكيد ، و تساوى بينهم و بين الدواب ، و تعاملهم أحياناً معاملة الكلاب (٣) .

فكانت حكمة الله و رحمته بعباده تقتضيان بعثة نبى جديد ، يحمل تعاليم جديدة ، و تعديلات فى الشرائع والأحكام ، اقتضاها

---

(١) راجع إنجيل متى باب ١٥ آية ٢٤ و باب ١٠ آية ٦ و ٧ .

(٢) متى باب ١٥ آية ٢٦ .

(٣) إقرأ للتفصيل كتاب المؤلف « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » الباب الأول : الفصل الأول عنوان نظام "طبقات الجائر ص ٥٨ . و امتيازات طبقة البراهمة ص : ٥٩ و المنبوذون الأشقياء ص : ٦٠ .

تغير الزمان و المكان ، و الأحوال والظروف ، و اقتضاها بعض الحوادث ، فتتناول التسهيل أحياناً و تحليل ما حرمه المتدينون الغلاة ، أو تحريم ما أحله المتوسعون المتنعمون ، أو السلاطين المترفون ، فيقول سيدنا عيسى بن مريم « و مصدقاً لما بين يدى من التوراة ، و لأحل لكم بعض الذى حرم عليكم و جئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله و أطيعون » (١) .

و قد أعلن القرآن انتهاء هذين الموجبين لنبوة جديدة ، أما ما يتصل بعموم الرسالة المحمدية للأمم و الشعوب ، و طبقات الناس جميعاً ، فقال: قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً، الذى له ملك السماوات والأرض ، لا إله إلا هو، يحيي ويميت (٢)» و قال : « و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، و لكن أكثر الناس لا يعلمون (٣) » وقال : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (٤) » ، و قال : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (٥) » ، و قال : « إن هو إلا ذكر للعالمين (٦) » .

---

(١) النساء : ٥٠ .
(٢) الأعراف : ١٥٨ .
(٣) سبا : ٢٨ .
(٤) سورة الأنبياء : ١٠٧
(٥) سورة الفرقان : ١
(٦) سورة ص : ٨٧ .

فالدين الاسلامى حق مشاع ، و ثروة مشتركة لجميع الأمم و الشعوب ، و العناصر و الأجناس ، و الأسر و البيوتات ، و البلاد والأوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار بنى لاوى من اليهود ، أو البراهمة من الهنود ، لا يتميز فيه شعب عن شعب ، و لا نسل عن نسل ، و ليس الاعتماد فيه على العرق و الدم ، بل الاعتماد فيه على الحرص و الشوق ، و حسن التلقى ، و زيادة التقدير ، و التفوق فى الجهاد و الاجتهاد ، و الدين و التقوى ، و قد قال الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ۚ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ۚ إن الله عليم خبير ۝ (١) » ، و أعلن النبى ﷺ يوم فتح مكة : « الناس بنو آدم و آدم خلق من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى (٢) » . و روى الامام أحمد بن حنبل (٣) بسنده عن النبى ﷺ أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس (٤) » .

---

(١) الحجرات : ١٣ . (٢) رواه الترمذى و غيره .

(٣) مسند الامام أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٩٦ .

(٤) قد بسط شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية فى كتابه النفيس « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » دلائل عموم البعثة المحمدية من القرآن والحديث والآثار و الأخبار (الجزء الاول ص — ١٢٦ ، ١٤٠ وص ١٦١ — ١٦٦) فليراجع

و أما ما يتصل بالحاجة إلى التغيير و التسهيل ، فصرح بأن هذه الشريعة قد جاءت سهلة سمحة ، توافق الفطرة المستقيمة و العقول السليمة ، فى كل زمان ، فقال : « يريد الله بكم اليسر ، و لا يريد بكم العسر (١) » ، و قال : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج (٢) » .

إن التشريعات المجحفة ، و القيود المرهقة — من تحريم ما أحل الله ، و تضييق ما وسع الله فيه — التى أخذت بها الأمم السابقة نفسها، والتزمت ما لم يلزمها الله به ، كانت كدرت عليها صفو الحياة ، وعقدت الدين ، وجعلته عبئاً ثقيلا لا يطاق حمله ، و جاءت النبوة الأخيرة ، و الشريعة السمحة الحنيفية ، فأزالت هذه القيود و الأغلال التى كانت من اختراع العباد الغلاة ، و المشرعين القساة ، و أعادت الأمور إلى نصابها ، يقول القرآن فى وصف هذا النبي الذى ختم الله به الأنبياء ، وأرسله إلى الناس كافة بشيراً و نذيراً .

« يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم (٣) » .

---

(١) البقرة : ١٨٥ . (٢) الحج ٧٨ . (٣) الأعراف : ١٥٧ .

و ذكر أن كبــار العقلاء و المشرعــين لو حاولوا مراعاة الحاجة البشرية ، والأحوال المختلفة ، لم يبلغوا حيث بلغ علم الله المحكم، فقال فى آيات المواريث : « آباؤكم و أبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ، فريضة من الله ، إن الله كان عليما حكيما (١) » و يقول فى سيــاق آيات الزواج و ما للزوجــين من حقوق وفرائض : « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم، والله عليم حكيم ٭ والله يريد أن يتوب عليكم، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ٭ يريد الله أن يخفف عنكم ، و خلق الانسان ضعيفاً (٢) » .

الصحف السماوية السابقة و القرآن
في ميزان العــلم و التــاريخ :

وما زالت الصحف السماوية السابقة للقرآن عرضة للتحريف و التبديل ، و الضياع و التلف ، فان الله سبحانه و تعالى لم يتكفل بحفظها و بقائها ، بل أسنـد ذلك إلى علمائها و حملتها ، و لم تحتج إليها البشرية ، أو الأمم التى خوطبت بها ، إلا لفترة من الزمان ، فقال : إنا أنزلنا التوراه فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، و الربانيون و الأحبار بمـا استحفظوا من

(١) النساء : ١١ . (٢) النساء ٢٦-٢٧-٢٨

كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء (١) » .

و قد ثبت ذلك تاريخياً و تواتر و أقرت به الأمم و الطوائف ، التى نزلت فيها هذه الصحف .

وقد استهدفت صحف العهد القديم للتلف والاحراق والابادة، بصورة واضحة ، وباتفاق المؤرخين اليهود ثلاث مرات فى التاريخ .

المرة الأولى حين زحف بختنصر (Nabuchodonosor) (٦٠٥ - ٥٦٢ ق . م .) ملك بابل على اليهود سنة ٥٨٦ ق . م . وأشعل النيران فى بيت المقدس الذى حفظ فيه النبي سليمان عليه السلام ألواح التوراة ، وبقية مما ترك آل موسى و آل هارون ، وأخذ من سلم من القتل من اليهود أسيراً إلى بابل حيث مكثوا فيه خمسين سنة ، و قد أعاد « عزرا » الصحف الخمس الأولى التى تسمى « تورة » بحفظه ، و قيد الحوادث فى أسلوب تاريخى ، ثم ضم إليها نحميا السلسلة الثانية من الكتب ، مضيفاً إليها زبور داؤد .

والمرة الثانية حين كر انطيوخوس (Antiochus) الرابع الملقب أيفانس ، ملك أنطاكية اليونانى على بيت المقدس (سنة ١٦٨ ق. م.) و أحرق الصحف المقدسة ، و منع من تلاوة التوراة ، و ممارسة الشعائر اليهودية رسمياً ، و نشط يهودا المكابى فى جمع

(١) المائدة : ٤٤ .

الصحف المقدسة و ترتيبها ، و ضم إليها السلسلة الثالثة من صحف « العهد القديم » .

والمرة الثالثة حين هجم تيطس (Titus) الامبراطور الرومانى (٤٠ - ٨١) على بيت المقدس فى ٧ من سبتمبر سنة ٧٠ م ، و دمره بما فيه من هيكل سليمان وحوله إلى أنقاض و خرائب ، و استولى على الصحف المقدسة ، و نقلها إلى بلاطه فى روما تذكاراً للفتح ، و أجلى اليهود من القدس ، و استعمر غيرهم حول المدينة (١) .

و مقاييس حفظ الصحف المنسوبة إلى الأنبياء المستفادة من الوحى ، و بقائها على أصالتها ، و نصوصها ، ووجهة نظر أصحابها إليها ، تختلف عن مقاييس المسلمين ، وعقيدتهم عن الكتاب المنزل من الله تعالى على محمد ﷺ ، اختلافاً كبيراً ، فلا يمنع دخول بعض زيادات وتعديلات فى هذه الكتب عن إضافتها إلى الوحى، و تسميتها بالصحف السماوية عند اليهود ، و قد لا يتحرجون من إضافة تأليفها إلى الأنبياء ، فقد جاء فى مختصر دائرة المعارف اليهودية ما يلى :

---

(١) راجع كتب تاريخ الصحف المقدسة . و راجع دائرة المعارف اليهودية . وقد وردت إشارات إلى هذه الحوادث فى صحيفة نحميا مكابيين و غيرها .

« إن الأحبار اليهودية و إن كانت تلح على أن صحف العهد القديم من تأليف « الأبطال » ، أو الشخصيات التي تتحدث عنها هذه الصحف ، و ذلك لا يبعد عن الصواب ، و لكنهم لا يتحرجون فى الاقرار بأن بعض هذه الصحف تناولها التعديل و الزيادة فى العهود المتأخرة (١) » .

و جاء فى دائرة المعارف اليهودية ما معناه :

« إن الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس (العهد القديم) كما تقول الأحبار اليهودية القديمة ، من تأليف النبي موسى ، باستثناء ثمانى آيات أخيرة جاء فيها الحديث عن موت موسى ، و ما زال الربيون يعنون بتناقضات واختلافات وردت فى هذه الصحف ، و ما زالوا يصلحونها بحكمتهم و لباقتهم (٢) » .

وتزيد هذه الموسوعة الكبيرة : « إن اسفينوزا (Spinoza) يقول : «إن الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم ليست من تأليف موسى ، بل هى من تأليف عزراء (٣) ، و أن آخر ما وصل

---

(١) Vellentin's one volume Jewish Encyclopaedia London p. 93.

(٢) Jewish Encyclopaedia V. 9 P. 589.

(٣) ص ٥٩٠ ملتقط من تفسير مولانا عبد الماجد الدريابادى بالانجليزية .

إليه البحث العلمى ، هو أن هذه الكتب (الخمسة الأولى) ترجع
إلى ثمانية و عشرين (٢٨) مصدراً استقيت و استفيدت منها هذه
الكتب (١) » .

أما أمر الأناجيل الأربعـــة التى تسمى « العهد الجديد »
فأمرها أغرب من صحف العهد القـــديم ، فانه يكتنف تدوينها
ومؤلفيها الشئ الكثير من الغموض و الالتباس و الاضطراب ،
وبينها وبين السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام) هوة عميقة واسعة ،
ليس فى إمكان باحث أو مؤرخ ردمها أو إقامة جسر عليها (٢)
وقد تعرضت للتحرير والتطوير ، والتعديل و التحسين ، فى مجامع
دينية، وفترات زمانية عديدة ، وبعد ذلك كله ، فانها بكتب السيرة
والأخبار و الحكايات والآثار أشبه منها بالكتب المنزلة من الله ،
المبنية على الوحى و الالهام ، يعرف ذلك بداهة من أجال النظر
فيهـــا و تصفحهـا ، و من قرأ الكتب التى ألفت فى تاريخهـا ،

---

(١) نفس المصدر ص ٥٩٠ .

(٢) راجع للتفصيل و تعيين عهود تأليفها و ترتيبها الزمنى و فى شأن مصادرها و المنابع التى استقيت معلوماتها وموادها منها ، كتاب تاريخ الديانات (History of Religions) لمؤلفهـا الفاضل E. O. Jones أستاذ تاريخ الديانات فى جامعة لندن . طبع لندن سنة ١٩٥٦ ص ١٧٨ - ١٨٠ .

والأدوار التى مرت بها (١) ، وهى لا تناهض كتب الحديث ، و دواوين السنة عند المسلمين ، من الطبقة الثانية والثالثة - فضلا عن الصحاح - فان هذه الكتب امتازت باتصال السند من أصحابها إلى رسول الله ﷺ ، و الحديث الصحيح عند علماء المسلمين ما روى بنقل عدل ، تام الضبط ، متصل السند ، غير معلل و لا شاذ (٢) ، أما الأناجيل فقد تجردت عن جميع أنواع السند ، فليس هنالك سند متصل من عصرنا إلى مدونيها ، ولا من مدونيها إلى سيدنا عيسى بن مريم .

و هذا كله زيادة على أن هذه الصحف التى بأيدينا اليوم ليست باللغة التى نزلت فيها ، وكان يتكلم بها المسيح (عليه الصلاة و السلام) و قومه ، بل نقلت من لغة إلى لغة ، وتناولتها أيدى المترجمين الناقلين حتى وصلت إلينا ، وهى فى الحقيقة بكتب السير و التاريخ ، و بمجاميع الأقوال و المواعظ - إذا لم نقل قصص المولد الكثيرة المنتشرة بين المسلمين - أشبه ، منها بكتب الحديث

---

(١) اقرأ الكتب التى ألفت فى تاريخ العهد الجديد فى اللغات الأوربية بأقلام العلماء المسيحيين و اقرأ خلاصتها فى كتاب « أضواء على المسيحية » لمؤلفه الفاضل الأستاذ متولى يوسف شلبى ، نشر الدار الكويتية .

(٢) راجع للتفصيل ومعرفة أقسام الحديث وشروطها كتب أصول الحديث ومصطلح أهل الأثر .

عند المسلمين ، لذلك كان من الخطأ المقارنة بين هـــذه الصحف و القرآن ، فان المقارنة إنما تكون بين ما كان من جنس واحد ، و على درجة واحدة .

وقد أحسن العالم المستشرق المهتدى المسيو « ايتين دينيه » الفرنسى فى وصف هذه الأناجيل ، و تحديد مكانتها العلمية و التاريخيـة ، و كان دقيقاً فى هذا الوصف ، يقول :

« أما أن الله سبحانه قد أوحى الانجيل إلى عيسى بلغتـه ، و لغة قومه ، فالذى لا شك فيـه أن هـــذا الانجيل قـــد ضاع و اندثر ، ولم يبق له أثر ، أو أنه أبيد .

ولهذا قد جعلوا مكانه « تأليفات أربع » مشكوكا فى صحتها، و فى نسبتها التاريخية ، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية ، و هى لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التى هى لغة سامية ، لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير ، من صلتها بتوراة اليهود ، و قرآن العرب » (١) .

ثم هنالك شواهد داخلية من أغلاط تاريخية صريحـــة ، و تناقضات واضحة ، و أمور مستحيلة ينكرها العقل ، و نسبة أشياء إلى الله لا تليق بجلاله و كماله ، و لا تتفق مع صفاته التى اتفقت

---

(١) نقلا من كتاب « أضواء على المسيحية » ص : ٥٢ ـ ٥٣ .

عليها الأديان السماوية والعقول السليمة ، و مطاعن فى أنبياء الله المكرمين ، و اتهامهم بأفعال وأخلاق يترفع عنها أوساط الناس إلى غير ذلك من الشواهد الجلية الكثيرة العدد التى تدل على الدس و الالحاق ، والتغيير فى كتب العهدين القديم والجديد التى تسمى مجموعاً بيائبل (Bible) أو الكتاب المقدس (١) .

أما صحف الديانات الأخرى التى تعتبر أعرق فى القدم ، وفيها صحف الهند العتيقة التى يدين بها الشعوب الهندية الآرية و تعتقد أنها نزلت من السماء ، و أنها من كلام فاطر الكون ووحيه ، فقد أحاطت بها هالات من الظلام والغموض ، و الجهل والأساطير ، و جهلت العهود التى نزلت فيها و الأشخاص الذين خوطبوا بها ، و دخل فى صلبها الشئ الكثير من الزيادات ، و التفسيرات ، و اندرست اللغات و اللهجات التى نزلت بها ، حتى أصبح الجزم بتحديد عهدها ، و الوصول إلى حقيقتها ، و مقاصدها ، و التمييز بين أصولها و شروحها ، شبه المستحيل ، يقول أحد كبار العلماء

---

(١) اقرأ كتاب « إظهار الحق » الفريد فى موضوعه ، للعلامة رحمة الله الكيرانوى الهندى المتوفى سنة (١٣٠٨هـ) المدفون فى مكة المكرمة .
و قد عد المؤلف ما وقع فى الكتاب المقدس من اختلاف لفظى فبلغ ١٢٢ اختلافاً ، وما عثر عليه من أغلاط لا تقبل التأويل فبلغ عددها إلى ١٠٨. راجع الكتاب .

المختصين فى تاريخ هذه الصحف ، وهوالموسيو A- Barth عضو المجمع الآسيوى الملكى فى باريس (The Societe-Asiatiqne of Paris) و هو يتكلم عن « ويدا » فى كتابه « ديانات الهند » :

«إن هذه الصحف لا تدعى أنها من الله ، و لا تحاول أن تخفى — بطريقة صناعية — عمرها ، لقد دخل الشئ الكثير من الزيادات و التحريفات فى صلب هذه الكتب و صميمها ، و قد كان الدافع إلى ذلك الاخلاص و حسن النية (١) و لكن رغم ذلك من الصعب تحديد عمرها ، أو تقديره على الأقل ، إن أجزاء « برهمنا » (Brahmana) التى كتبت فى آخر ما كتب ، لا تتقدم بداية عهدنا إلا خمس ماة سنة ، أما بقية ما اشتملت عليه «ويدا» فهى موغلة فى قدم يصعب معه الجزم بشئ ، أما ما كان أعرق منه فى القدم فمن المستحيل إبداء الرأى فيه (٢) » .

أما « أوستا » صحيفة المجوس الفرس ، فلا يختلف شأنها عن شأن « ويدا» ، ولعل نصيبها من البحث العلمى ، والقيمة التاريخية

---

(١) لعله يعنى أن الذين فعلوا ذلك كان غرضهم أن يقبل عليها الناس قراءة ومطالعة و أن يطبقوا بينها و بين روح العصر وثقافته ، وهذا نفس ما وقع مع العهد القديم و الجديد . و قد جنى ذلك على هذه الصحف جناية كبيرة ، فقد ثبت بطلان النظريات والشائعات علمياً ، ففقدت «الكتب المقدسة» قيمتها ومكانتها.

(٢) The Religiones of India - Delhi 1969 p - 4-5 .

أقل ، و الشبهات حولها أقوى ، يقول (Robert. H. Pfeiffer) رئيس فرع اللغات السامية فى جامعة هارورد ، فى دائرة معارف الديانات ، و هو يتحدث عن « أوستا » :

« إن أصل «أوستا » كما تقول الحكايات كان جامعاً للعلوم، و قد أباد معظمه الاسكندر ، و قد ألف كتاب فى القرن الثالث المسيحى مما تبقى من الكتاب كان يحتوى على ٢١ جزءاً تسمى (Nask) و لم يبق من هذه الأجزاء كلها إلا جزء واحد يسمى (Vendidad) و قد نقل جزء يتصل بالعبادات من هذا الكتاب إلى الهند بعد القرن التاسع المسيحى ، و هو يتألف من خمسة أجزاء تسمى (Yasna) بما فيها (Gatha) و (Vespered) و(Vendid) و (Khorda Avasta) (١) .

أما القرآن الكريم الذى كان آخر الكتب المنزلة من الله ، و مصدقاً لها ، و مهيمناً عليها ، و عليه الاعتماد فى هداية البشر، و ربط الخلق بالخالق ، و الدعوة إلى الله بعد البعثة المحمدية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، فشأنه يختلف عن شأن جميع الكتب السماوية كل الاختلاف ، فقد تكفل الله بحفظه و سلامته من كل تحريف و تبديل ، و زيادة و نقص ، فقال : « و إنه

---

(١) دائرة معارف الديانات طبع نيويورك ١٩٤٥ م ص. ٤٩ .

لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (١) » و كذلك تكفل الله بسلامته من مسخ و عبث ، و محو من الذاكرة ، و ارتفاع عن صدور الناس . أو تعرض لنكبة تقضى عليه أو تبيده ، كما وقع أكثر من مرة للتوراة ، فقال : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون (٢) » و هى الكفالة بحفظه و بقائه ، و انتشاره و ازدهاره و بقائه ، متلواً و مدروساً و مفهوماً ، و غير مهجور قد انقطع العمل به بتاتاً ، و تنوسى ، فكل هذا — من معان و لوازم وآفاق — مما تنطوى عليه كلمة « الحفظ » العربية البليغة .

و لما قضى الله ببقاء هذا الكتاب على أصالته و نقائه ، و بنصه و فصه ، كما نزل على محمد بن عبد الله ﷺ ، سخر الله لهذا الغرض النفوس البشرية ، و الدواعى الطبعية ، و الأسباب الخارجية ، والحوادث الكونية ، فكان لا يتحرك به لسان النبوة ، و لا يدخل فى الأذن إلا و يتهالك المسلمون على تلقفه وحفظه ، و تلاوته وتدارسه ، بدافع من الحب الذى جبلت عليه القلوب ، و لاعجازه و بلاغته ، ورنينه ، و حلاوة جرسه ، ثم بما وردت فى فضل حفظته و حملته من الآيات الكثيرة ، و الأحاديث

---

(١) حم السجدة ٤١ - ٤٢ . (٢) الحجر : ٩ .

المستفيضة المتواترة (١) ، و قــد قرنت حياة المسلمين به صلاة و تعبداً ، و أحكاماً و مدنية و اجتماعاً ، و علماً و أدباً ، فبلغ تعلق قلوب المسلمين به إلى حد الغرام و الهيام ، و كثر عــدد حفاظه فيهم من أقدم العصور ، فقد استشهد فى وقعة بئر معونة التى كانت سنة ثلاث للهجرة سبعون رجلا من المسلمين يقال لهم القراء (٢) ، و هكذا لم يزل عدد الحفاظ يتزايد بتزايد عدد المسلمين ، و كثرة الدواعى إلى الحفظ و تنوعها ، حتى وصل إلى حد يقضى منه العجب ، فى مدينة صغيرة ، وفى كل مجتمع إسلامى ، و يتناقله المسلمون صدراً من صدر ، و لساناً من لسان ، و يبلغ منهم الاتقان لحفظه ، و الدقة فى صحته ، والبراعة فى استحضاره ، و التنافس فيه ، و الشغف بقراءته و التعبد به إلى حد لا يصدقه من غير المسلمين إلا من عاشر المسلمين و عاش معهم ، و عرف عوائدهم ، وكان عدد هؤلاء الحفاظ يفوق الاحصاء فى كل زمان ، فضلا عن هذا الزمان الذى لا يقل عددهم عن ملايين .

(١) راجع على سبيل المثال ـ رسالة « فضائل القرآن » للعلامة المحدث الشيخ محمد زكريا ابن يحي الكاندهلوى . تعريب الأستاذ واضح رشيد الندوى .

(٢) راجع البداية والنهاية ج : ٤ . ص ٧١ . وحديث بئر معونة حديث مشهور رواه البخارى و مسلم و أصحاب السنن .

و قد ألهم الله خلفاء رسول الله ﷺ بالحق ، والقــائمين بــأمر المسلــين حين استحر القتل يوم اليمامــة بالقراء ، فخشوا أن يكون فى استشهاد القراء فى المواطن الأخرى ضرر عـلى بقـاء القرآن ، إن كان جل الاعتماد على الحفظ ، و قد بدا ذلك لعمر الذى كان يسبق زملاءه الصحابة فى التعرف لحــاجات المسلمين ومصالحهم ، و كان يتوارد خاطره بمقاصد التشريع ، فاقترح على أبى بكر وهو خليفة رسول الله (ﷺ) يومئذ و خليفة المسلمين ، جمع القرآن و كتــابته ، و كان مفرقــاً فى الرقاع و العسب ، و اللخاف (١) ، و صدور الرجال ، و شرح الله صدر أبى بكر لهذا الأمر ، و كلف زيد بن ثابت لاختصاصه بهذا الشأن ، فقام بذلك خير قيام ، معتمداً على المحفوظ فى صدور القراء ، والمكتوب لدى الكتبة ، و بقيت تلك الصحف محفوظة يرجع إليها ، ويعتمد عليها ، حتى آل الأمر إلى عثمان بن عفان الخليفة الثالث ، و قد اتسعت الفتوحات الاسلامية ، وتفرق القراء فى الأمصار ، وأخذ أهل كل مصر عمن وفد إليهم قراءته ، و خشى عـلى المسلمين الاختلاف والاضطراب فى وجوه القراءة ، واللحن بدخول العجم

(١) العسب جمع عسيب أى جريدة من النخل و هى السعفة مما لا ينبت عليــه الخوص . و اللخاف جمع لخفة : حجارة بيض دقاق .

فى الاسلام فى عدد كبير ، و خاف عقلاء الصحابة أن ينشأ عنه التحريف والتبديل ، فأمر عثمان رضى الله تعالى عنه بنسخ الصحف الأولى ، التى نسخت فى عهد أبى بكر فى المصاحف، وكتبت على القراءات المتواترة ، وبعث عثمان إلى كل أفق بنسخة من المصاحف واحتبس بالمدينة واحداً ، هو مصحفه الذى يسمى « الامام » (١) و هذه المصاحف هى التى تمسك بها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعليه درجت أجيالهم ، و بها ذلت ألسنتهم ، وحفظوا القرآن ، وعبدوا الله به، وعليه الاعتماد فى العالم الاسلامى كله من أقصاه إلى أقصاه ، و من السنة الخامسة و العشرين التى كان فيها هذا الجمع الأخير إلى يوم الناس هذا ، لا يشذ عنه شاذ ، و لا يوجد عنه اختلاف فى مجتمع إسلامى أو فى مكتبة أثرية (٢) ، وأجمع عليه المسلمون وتواتر منذ أن تم هذا العمل ، و أطبق عليه

---

(١) اقرأ تاريخ جمع القرآن وكتابته فى الكتب التى ألف فى هذا الموضوع قديماً وحديثاً. واقرأ خلاصتها فى كتاب « مباحث فى علوم القرآن » لصديقنا الفاضل الأستاذ مناع القطان . واقرأ الكتاب الممتع المفيد « النبأ العظيم» لمؤلفه الفاضل العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز .

(٢) يقول ا ــ منجانا (A. Mangana) أستاذ جامعة منشستر سابقاً: إن هنالك نسخاً كثيرة مخطوطة للقرآن كلها فى مكتبات أوربا العامة لعل أقدمها ماترجع كتابتها إلى القرن الثانى الهجرى وهذه المخطوطات لا يوجد فيها اختلاف عدا هنات من الكتابة العربية التى هى من عيوب الخط العربى القديم. وقريباً من ذلك قال نوالديك (Noeldeke) (دائرة معارف الأديان والأخلاق) ج : ١٠ ص ٥٤٨/٤٩ .

المسلمون إلى هذا العصر الذى أصبح القرآن فوق متناول المحرفين و المغرضين و العابثين ، لكثرة الحفـاظ و العلماء المتقنين له ، و كثرة التداول بين الناس ، و كثرة الطبعات ، و قد اعترفت الموسوعة البريطانية ، بأن القرآن هو أوسع الكتب تلاوة عـلى وجه الأرض (١) .

وقد اتفقت كلمة المستشرقين ، و علماء الغرب المحققين الذين لا يؤمنون بطبيعة الحال بكون القرآن منزلا من الله ، و وحيـاً أوحى به إلى محمد ﷺ على صحة نقله وانتهائه بنصه إلى محمد ﷺ، و هنا بضع شهـادات لكبار العلماء المسيحيين .

يقول سير وليم ميور (Ser William Muir) الذى عرف تحامله على الاسلام ، وصاحب رسالته ، حتى اضطر ذلك زعيم حركة التعليم العصرى فى المسلمين فى الهند سيد أحمد خان ، مؤسس جامعة عليكراه الاسلامية إلى وضع كتابه الشهير « خطبات أحمدية » فى الرد على كتابه « حياة محمد » (Life of Mohammed) ، يقول ميور فى نفس هذا الكتاب :

« لم يمض على وفاة محمـد ربع قرن حتى نشأت منازعات عنيفة ، و قامت طوائف ، و قد ذهب عثمان ضحية هـذه الفتن ، و لا تزال هذه الخلافات قائمة ، و لـكن القرآن ظل كتاب هذه

---

(١) دائرة المعارف البريطانية : مادة « محمد » .

الطوائف الوحيد ، إن اعتماد هذه الطوائف جميعاً على هذاالكتاب تلاوة ، برهان ساطع على أن الكتاب الذى بين أيدينا اليوم ، هى الصحيفة التى أمر الخليفة المظلوم بجمعها وكتابتها ، فلعله هوالكتاب الوحيد فى الدنيا الذى بقى نصه محفوظاً من التحريف طيلة ألف و مأتى سنة (١) » .

ويقول وهيرى (Wherry) فى تفسيره للقرآن ج : ١ ص : ٣٤٩ : « إن القرآن أبعد الصحف القديمة بالاطلاق عن الخلط و الالحاق ، و أكثرها صحة و أصالة » .

ويقول پامر (Palmer) مترجم القرآن المعروف إلى اللغة الانجليزية فى كتابه (The Quran introduction) : « لم يزل نص القرآن الذى رتبه عثمان هى الصحيفة المتلقاة بالقبول ، المعتمد عليها عند المسلمين (٢) »

و يقول لين پول (Lane Poole) :

« إن أكبر مايمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شك إلى أصالته ، إن كل حرف نقرأه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أى تغيير منذ ثلاثة عشر قرناً (٣) » .

إذن فلم تعد حاجة إلى نبوة جديدة ، تزيل الالتباس ، وتميز

---

(١) Life of Mohammed الطبعة ١٩١٢. ص: ٢٢-٢٣. (٢) ص : ٧٠ .

(٣) Selections from the Koran P. C.

هذه الاعترافات ملتقطة من تفسير مولانا عبد الماجد الدريابادى ، بالانجليزية .

بين الحق و الباطل ، و تبين كذب المفترى ، ولا إلى صحيفة تحل محل هذه الصحيفة المنسوخة التى عبثت بها الأيدى ، واعتدى عليها المعتدون .

سكوت القرآن عن بعثة نبي جديد :

و هذا الكتاب الخالد الذى هو الفرقان و الميزان ، والذى هو تبيان للناس ، و الذى لم يهمل أصلا من أصول الدين ، يتوقف عليه فلاح الدين و الدنيا ، وتتوقف عليه النجاة والسعادة ، ساكت عن ورود نبي جديد ، مع أنه كان من أهم المهام الذى لا يقبل الغموض و الابهام ، فضلا عن السكوت ، فالكتاب الذى يذكر الشئ الكثير من أشراط الساعة ، و الحوادث التى تحدث فى آخر الزمان ، ويتحدث عن الدخان (١) ، وعن الدابة (٢) ، و يأجوج ومأجوج (٣) ، من حوادث آخر الزمان ، كيف لا ينبئ عن نبي يبعث فى هذه الأمة أو غيرها ، و يهيئ العقول و النفوس — التى تنفر عن كل جديد ، و تفر من التكاليف و المسئوليات — للترحيب به وقبول دعوته ، و الانضواء إلى

(١) «يوم تأتى السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم» (الدخان ١٠-١١)

(٢) «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» (النمل : ٨٢) .

(٣) «حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون (الأنبياء :٩٦)

رايته ، و قد عرف اعتناء القرآن الزائد ، و اهتمام الرسول ﷺ البالغ بكل ما ينفع فى الدنيا والآخرة ، والتحذير عن كل مايضر ، و يعرض لسخط الله و عقابه ، و الحرص الشديد على أن يكون المسلمون على بينة من أمرهم ، مستعدين لمواجهة ما يتحدى دينهم ، و يفسد عقيدتهم ، و يغير على إيمانهم ، و قد زخرت كتب الحديث بالأحاديث الواردة فى المسيح الدجال ، و فتنته و محنته ، أيعقل من هذا الكتاب الذى هوتنزيل من حكيم حميد ، ومن هذا النبي الذى يصفه القرآن بأنه « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤف رحيم (١) » أن يترك أمته فى عماء و ظلام ، و جهالة مطبقة ، و حيرة مردية ، عن هذا الحدث الأكبر ، والنبأ العظيم الذى هو أهم بكثير مما لهج لسان النبوة بذكره ، وزخر دواوين السنة بتفاصيله ؟

الأحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة :

ثم لم يقتصر النبي ﷺ ، على ما جاء صريحاً فى القرآن عن كل هذا الدين ، وانتهاء سلسلة النبوة عليه ، مما لا يدع مجالا للشك لكل من عرف اللغة العربية ، و لم يبتل بفساد الذوق أو سوء النية ، أو ابتغاء الفتنة ، بل شرحه لأمته فى وضوح لا وضوح

(١) التوبة : ١٢٨ .

فوقه ، و فى بسط و تفصيل لا يتصور أكثر منه ، و ضرب لذلك الأمثال البليغة ، وقد زخرت كتب الحديث بهذه الروايات التى وردت فى معنى أن رسول الله ﷺ هو آخر الرسل وخاتم الأنبياء (١) و نقتصر هنا على خمسة أحاديث وردت فى الصحاح حتى يتبين الصبح لذى عينين :

١ — قال النبي ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلف نبي ، و أنه لا نبي بعدى ، و سيكون خلفاء (٢) » .

---

(١) قال العلامة السيد أنور شاه الكشميرى شيخ المحدثين فى عصره (م١٣٥٢هـ) فى كتابه « عقيدة الاسلام » : « تواترت الأحاديث فى ختم النبوة نحو مأتى حديث » (ص : ٣١٨) وقد جمع العلامة المفتى محمد شفيع الديوبندى كبير علماء باكستان الأحاديث الواردة فى هذا المعنى فى كتابه «ختم النبوة » فبلغت ٢١٠ حديثاً ؛ وقد تزيد على ذلك عند المستقصين ، وتكلم على هذه الأحاديث و بحث فيها و فى أقوال العلماء و المتكلمين و الأصوليين و الصوفية العلامة محمود حسن خان الطوكى (م ١٣٦٦هـ) مؤلف موسوعة « معجم المصنفين » فى كتابه « معيار السنة لختم النبوة » و هو من أحسن ما قرأت فى هذا الموضوع .

(٢) الجامع الصحيح للبخارى، كتاب المناقب باب ماذكر عن بنى إسرائيل، ومسلم فى كتاب الامارة وأحمد فى مسنده ؛ و ابن ماجة و ابن جرير وابن أبى شيبة .

٢ — قال النبي ﷺ : « إن مثلى و مثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه و أجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له ، و يقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، و أنا خاتم النبيين (١) » .

٣ — إن رسول الله ﷺ قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، و نصرت بالرعب ، و أحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، و ختم بى النبيون (٢) » .

٤ — قال رسول الله ﷺ : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى و لا نبي (٣) » .

٥ — عن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال : « أنا محمد ، أنا أحمد ، و أنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، و أنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي(٤)».

---

(١) الصحيح للبخارى (كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين) و رواه مسلم وأحمد و الترمذى و ابن أبى حاتم ، و اللفظ للبخارى .

(٢) مسلم . الترمذى . ابن ماجة .

(٣) رواه الترمذى فى (كتاب الرؤيا ، باب ذهاب النبوة) و قال هذا حديث صحيح ، و قال ابن كثير فى تفسيره ، أخرجه أحمد أيضاً .

(٤) رواه البخارى و مسلم و أبو نعيم فى الدلائل .

إجماع الصحابة و الأمة الاسلامية على انقطاع النبوة بعد محمد ﷺ ، واستبشاعها ورفضها لهذه الدعوى :

و بسبب هـذه الآيات البينـات المحكمات ، و الأحاديث الصحيحة الصريحة ، التى بلغت حد التواتر ، أجمع الصحابة رضى الله عنهم — و إجماعهم أكبر دليل من دلائل الثبوت الشرعى — على انقطاع النبوة بعد النبي ﷺ ، و أنه لا نبي بعده فى كل مفهوم من مفاهيم هذه الكلمة العربية التى كانوا يحسنون فهمها ، و لذلك اتفقت كلمتهم عن آخرهم على قتـال مسيلمة الكذاب ، و الحكم بكفره و ردته ، لم يشذ منهم فى ذلك شـاذ ، مع أن مسيلمـة كان مقراً بنبوة محمد ﷺ ، و كان يؤذن للنبي ﷺ ، و يشهد فى الأذان أن محمداً رسول الله (١) ، و كان مؤمنـاً بالقرآن يرى العمـل به فرضاً ، و إنما كان يفسر القرآن حسب أهوائه ، و يدعى الالهام ، و كان يدعى أنه أشرك فى نبوة محمد ﷺ ، فكان أول فاتح لباب نبوة تابعة للشريعة المحمدية ، و كل من ادعى ذلك فى العصور الأخيرة كان تابعاً له ، و قد قتل فى حرب اليمامة ألف و مأتا رجـل من خيار المسلمين ، كما جاء فى كتاب كتبه أبو بكر إلى خالد بن الوليـد (٢) ، و قتل الأسود

(١) تاريخ الطبرى ج : ٣ ص : ٢٤٤ . (٢) تاريخ الطبرى ج : ٣ ص ٢٥٤ .

العنسى الذى ادعى النبوة فى عهد رسول الله ﷺ .

ثم أجمع المسلمون فى كل عصر على انقطاع النبوة بعد محمد ﷺ ، وأن كل من يدعيها مارق من الدين ، متبع غير سبيل المؤمنين(١)، واستفاضت هذه العقيدة فى العالم الاسلامى كله ، و أصبحت جزءاً من عقائد المسلمين التى يدينون بها و يعضون عليها بالنواجـــذ ، وتتوارثها الأجيال بعد الأجيال، حتى أصبحت عقول المسلمين وطبيعتهم لاتسيغ ادعاء النبوة ولا تحتمله(٢) ، لذلك قل عدد المتنبئين فى

---

(١) قد نقل الاجماع على ذلك القاضى عيـاض (م ٥٤٤ هـ) فى كتابه المشهور « الشفاء » و بسط القول فيه ، (« الشفاء » ج : ٢ ص : ٢٧٠-٢٧١) و العلامة الشهرستانى (م ٥٤٨هـ) فى كتاب « الملل و النحل » ج : ٣ ص : ٢٤٩ . و العلامة ابن نجيم (م ٩٧٠هـ) فى كتـــاب « الأشباه و النظائر » ص : ١٧٩ ، و العلامة ملا على القـــارى (م ١٠١٦ هـ) فى شرح « الفقه الأكبر » ص : ٢٠٢ . و من كبار الصوفية : الامام عبد الوهـاب الشعرانى فى كتاب « اليواقيت و الجواهر » ص : ٣٥ . . و كل ما نقل خلافـه عن عالم من علماء المسلمين الذين عليهم الاعتماد : إما مفترى عليه ، وإما مدسوس فى الكتاب ؛ و إما قطعت عبارته عن سياقها و حرفت عن موضعها ، وإما أسئ فهم مراده عن قصد أو عن غير قصد .

(٢) لقد خلد التاريخ أسماء من ادعوا النبوة ؛ و لقبهم المسلمون بالمتنبئين ؛ و بقى هذا العار واللقب الشنيع لاصقاً بهم ، ولم يسامح التاريخ فى ذلك أشهر شاعر من شعراء العربية ، و قد انتهت إليه رئاسة الشعر ، وعقد له اللواء ، و هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندى (م ٣٥٤هـ) و قـــد غاب عليه لقب « المتنبى » فغطى اسمه .

المجتمع الاسلامى بالنسبة إلى اتساع العالم الاسلامى ، و تفاوته فى فهم الدين و التمسك به ، و بالنسبة إلى عدد المسلمين الضخم ، واضطراب الأمور فيهم ، و بالقياس إلى كثرة الدواعى إلى هذه الادعاءات ، بالعكس من الأمم السابقة التى كثر فيها عدد المتنبئين مع ضيق رقعة الأرض التى كانت تسكنها ، وقلة عدد المتدينين الذين كانوا يتدينون بهذه الديانات .

ثم إن من ادعى النبوة لم يحقق من النجاح ، و لم يكتسب من الأتباع ما كان يخشى من جهالة المسلمين ، و دهاء المتنبئين ، و ما وردت به الأخبار الصحيحة عن عدد المتنبئين (الذى لا يتجاوز سبعين إلى أن تقوم القيامة) و الذى سجله التاريخ من أسمائهم وأخبارهم قليل ، نظراً إلى اتساع الأمة الاسلامية، وامتداد نفوذ الاسلام ، و اضطراب العقائد ، و تشتت الأغراض و المذاهب ، ، و تلك نتيجة رسوخ عقيدة ختم النبوة فى أذهان المسلمين و تغلغلها فى أحشائهم ، و لوضوح الآيات ، و لصراحة الأحاديث ، التى وردت فى هذا المعنى و شهرتها واستفاضتها .

انقطاع النبوة تكريم للانسانية و رأفة بها :

أشارت الحكمة الالهية بختم النبوة إلى أن الانسانية قد بلغت سن الرشد ، و مرحلة النضج و الاستواء ، فقد خرجت من إطارها الضيق الذى عاشت فيه قروناً طويلة ، لأسباب تاريخية

طبيعية يطول شرحها ، و استعدت لأن تدخل فى مرحلة جديدة من العلم و المدنية ، و التعارف و الوحدة ، و تسخير الكون و طاقاته ، و التغلب على العوائق الطبعية و التقسيمات الجغرافية ، و الفوارق السياسية ، و خرجت من مفهوم الأسر و القبائل ، و الشعوب و الأقاليم إلى مفهوم العالم الفسيح ، و الانسانية الواسعة ، و الهداية العامة و العلم المشاع .

و كانت كل الشواهد و التجارب تدل على أن سعادتها فى الاعتماد على ما نزل من وحى ، و صح من عقيدة و تشريع ، و تعين من حدود و غايات ، و أصول و كليات ، عن طريق النبوة التى كانت خاتمة للنبوات ، و عن طريق الكتاب الذى كان مهيمناً للكتب ، و السير فى ضوئه على هدى و بينة ، وشق طريق الحياة إلى الأمام ، و الاعتماد فى مجال الحياة على القوى الطبعية ، و وسائل العلم ، و العقل المؤمن ، و القلب السليم ، و السعى الهادف .

و كان شقاؤها فى الزمن الماضى بالتباس الأمور ، واختلاط الحق بالباطل ، وكثرة الدعوات المدعية للاتصال الخاص بالسماء ، و تلقى التعاليم من فوق كذباً و زوراً ، و توزيع الناس بين المؤمن و الكافر على هذا الأساس .

وكان هلاك أمم كثيرة بالكفر بالأنبياء الذين كانوا يبعثون فيها ، والذين كان يأتى بعضهم على إثر بعض ، فان النبوة ليست زعامة سياسية ، أو رئاسة دنيوية يهون إنكارها ومحاربتها ، والثورة عليها ، إنما هى فرقان بين الحق و الباطل ، و بها تتم حجة الله على هذه الأمة التى يبعث فيها النبى ، و يعرف المتتبع للقرآن أن سبب هلاك الأمم السابقة لم يكن بالكفر المطلق ، و بمجرد فساد العقائد و الأعمال و الأخلاق ، إنما كان لتكذيبها بالنبى المبعوث فيها ، و استهزائها به ، وإهانتها له ، و قد قص القرآن قصة هذه الأمم فى بسط و تكرار ، و اجترائها على نبيها المرسل ، وما لقيه منها من أذى و سخرية و إهانة أحياناً أخرى ، و الآيات فى هذا المعنى كثيرة يصعب استقصاؤها ، ونقتصر هنا على بعضها :

« و همت كل أمة برسولهم ليأخذوه و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب (١) » .

« كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون (٢) » .

« قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين ،

---

(١) سورة غافر : ٥ .

(٢) سورة المؤمنون : ٤٤ .

فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاءاً ، فبعداً للقوم الظالمين (١)» .

« و لقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن (٢) » .

« و لقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب (٣) » .

« إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب (٤) » .

« و ما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٥) » .

وفى انقطاع النبوة توفير للجهود البشرية والطاقات الانسانية عن أن تمتحن وتستنفد بعد كل فترة زمنية، أو على مسافة مكانية ، فى التصديق و التكذيب ، و الايمان و الكفر ، و ذلك شئ طبيعى، إذا استمرت سلسلة النبوة ، واتصال الأرض بالسماء لتلق الوحى الجديد ، و التعليم المفيد ، و الشرع المزيد ، و نهض بعد حقبة من الزمان قد تطول و قد تقصر ، و على مسافة من المكان قد تبعد وقد تقرب، من يدعى النبوة ، و يدعى أن الله يخاطبه و يوحى إليه ، وأنه كلف تبليغ الرسالة ، و يحكم بكفر من يكفر

---

(١) سورة المؤمنون : ٣٩ - ٤٠ - ٤١ .
(٢) سورة الأنعام : ١٠ و سورة الأنبياء ٤١ . (٣) سورة الرعد : ٣٢ .
(٤) سورة ص : ١٤ . (٥) سورة الشعراء : ٢٠٨ .

به وينكر نبوته ، ويحاربه حرباً شعواء لا هوادة فيها ولا رفق ، و لا استثناء فيها و لا فرق ، و ينحت من الأمة الواسعة ، التى ملأت الآفاق ، أمـة صغيرة ، قد يبلغ عـددها إلى مآت من النفوس ، أو إلى آلاف ، أو مآت آلاف ، و هكذا يتشاغل الناس — بعد كل فترة من الزمان — وفى أمكنة متعددة فى هذا العالم الفسيح فى وقت واحد ، بالحكم على هذا المدعى أوالمدعين ، منهم المغبون فى عقله ، و منهم المحترف بدينه ، و منهم من هو صنيعة لغيره ، أو الملبوس عليه فى عبـادته لقلة علمه ، و كثرة مجاهدته ، قد اتخذه الشيطان مطية و لعبة ، أو الحكومات ، أو أصحاب الأغراض السياسية وسيلة و ذريعة ، إلى غير ذلك من الامكانات التى لا ينكرها العقل ، و لا تنفيهـا التجربة ، و لا يكذبها الواقع ، فكل ذلك وجد فى الديانات السابقة ، وظهر فى الأمة الاسلامية فى بعض الفترات التاريخية .

مشكلة كثرة المتنبئين فى الديانات السابقـة وخطرها على سلامة العقيدة ووحدة الديانة:

و تدل مطالعة صحف « العهد القديم » دلالة واضحة على أن عدداً كبيراً من أصحاب الطموح ، و عشاق الجاه ، و الزعامـة الدينية ، تزعموا النبوة و الكهانة ، و الاتصال بعالم الغيب اتصالا

مباشراً معتمدين فى ذلك على رؤى و أحـلام كانوا يرونها ، أو يزعمون أنهم يرونها ، و قـد أحـدث ذلك فتنة عظيمة فى المجتمع اليهودى ، حتى لزم أن ينبه عليهـا عن طريق الصحف التى نزلت على أنبياء بنى إسرائيل ،وهنا نقتصر على بضع شهادات ملتقطة من « العهد القديم » .

« هانذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة ، يقول الرب : الذين يقصونها و يضلون شعبي بأكاذيبهم ومفاخراتهم ، و أنا لم أرسلهم و لا أمرتهم ، فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب » .
(إرميا ، الأصحاح ٢٣ ، آية ٣٢)

« فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم و عرافيكم و حالميكم و عائفيكم و سحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل ، لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب ، لكى يبعدوكم من أرضكم ولأطردكم فتهلكوا» .
(إرميا ، الأصحاح ٢٧ ، آية ٩ — ١٠)

« فتحققت وهو ذا لم يرسله الله ، لأنه تكلم بالنبوة على ، و طوبيا و سنبلط قد استأجراه ، لأجل هذا قـد استؤجر لكى أخاف و أفعـل هكذا و أخطئ فيكون لهما خـبر رديئ لكى يعيرانى » . (نحميا ، الأصحاح ٦ ، آية ١٢ — ١٣)

« و كان إلى كلام الرب قائلا : يا ابن آدم تنبأ على أنبياء

إسرائيل الذين يتنبأون ، وقل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب ، هكذا قال السيد الرب ، ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم و لم يروا شيئاً » .

(حزقيال ، الأصحاح ١٣/ ٢ — ٣)

« صار فى الأرض دهش و قشعريرة ، الأنبياء يتنبأون بالكذب ، والكهنة تحكم على أيديهم و شعبى هكذا أحب و ماذا تعملون فى آخرتها » ، (إرميا ، الأصحاح ٥ ٣٠ — ٣١)

« لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: لا تغشكم أنبياؤكم الذين فى وسطكم ، و عرافوكم ، و لا تسمعوا لأحلامكم التى تتحلمونها ، لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمى بالكذب ، أنا لم أرسلهم يقول الرب » . (إرميا ، الأصحاح ٢٩ ٨ — ٩)

و يبدو من الوثائق التاريخية اليهودية ، أن سلسلة هؤلاء المتنبئين استمرت إلى بعد عهد تدوين صحف «العهد القديم» ، وقد تكاثر هؤلاء « المتنبئون » اليهود فى البيئات التى كان اليهود فيها هدف الاضطهاد والقسوة و الاهانة ، واستشرف المجتمع اليهودى من ينقذه من هذه الحالة المزرية ، و ينتصف من عدوه ، ويرد إليه الاعتبار و الكرامة ، و استغل هذه النفسية المكلومة الموتورة بعض الأذكياء الذين لا يخافون الله ، و لا يرجون حساباً و لا

كتاباً ، فاعتبروا ذلك فرصة سانحة لتحقيق مآربهم الشخصية ، أو أغراضهم السياسية ، ففاجأوا أبناء ملتهم بمبشرات و تكهنات ، و وعود خلابة ، وأسسوا عليها نبوتهم الجديدة ، و كان لها سحر عجيب فى النفوس البائسة ، التى ضاقت ذرعاً بالظروف القائمة التى طال أمدها ، فأقبل عليهم عدد كبير من المصدقين و المصفقين ، واضطربت العقائد ، و شاعت البدع ، و نشأت طوائف محدثة هالت الغيارى على التعليمات اليهودية الأصيلة و أفزعتهم ، يقول البرت ايم تائمسن (Albert M. Tyamson) عضو المجمع التاريخى اليهودى الأمريكى البريطانى فى دائرة معارف الأديان والأخلاق :

« يكثر الحديث فى تاريخ اليهود عن المتزعمين الذين كان كل واحد منهم يدعى أنه « المسيح الموعود » و ذلك فى الفترة التى أعقبت تجريد الحكومة اليهودية عن الحرية ، و دامت إلى عدة أجيال ، و كان هؤلاء المبشرون بالعهد الزاهر ، و الغد الباسم لا يزالون يبعثون فى اليهود — فى أحلك عصورهم — أمل العودة إلى وطنهم الذى أجلى منه آباؤهم فى الزمن الماضى ، و كان أكبر عدد من هؤلاء المتزعمين ينهض فى أمكنة وأزمنة يبلغ فيها اضطهاد اليهود أوجه ، وكانت تلوح طلائع الثورة على هذا الوضع المخزى ، و كانت هذه الحركات غالباً تتسم بسمة السياسية ، و قد غلبت

الصبغة السياسية على هذه الحركات فى الزمن الأخير ، و رغم أن هذه الحركات لم تكن تتجرد عن المظهر الدينى تجرداً كاملا، ولكنها كانت فى غالب الأحيان تشجع على البدع ، و توسع بذلك نفوذها، و تقوى سلطانها ، لذلك كانت جنايتها عظيمة على التعاليم اليهودية الأصيلة ، و تنجم فرق متطرفة تنضم أخيراً إلى المسيحية أو الاسلام (١) .

وقد استمر التنبوء و التزعم للنبوة بدوافع شخصية و طائفية و اقتصادية و سياسية إلى ما بعد المسيح ، و هنا شهادات من « العهد الجديد » تدل على كثرة المتنبئين و خطرهم .

« و فى تلك الأيام انحدر من أورشليم إلى انطاكية و قام واحد منهم اسمه « اغابوس » ، و أشار بالروح أن جوعاً عظيما كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة الذى صار أيضاً فى أيام كلوديس قيصر » . (أعمال الرسل ، الأصحاح ١١/ ٢٧-٢٨)

« وبينما نحن مقيمون أياماً كثيرة انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس فجاء إلينا ، و أخذ منطقة بولس ، و ربط يدى نفسه و رجليه ، وقال هذا يقوله الروح القدس ، الرجل الذى له هذه

---

(١) دائرة معارف الأديان و الأخلاق (Encyclopaedia of Relegion and ethics) ج : ٨ ص ٥٨٨ .

المنطقة ، هكذا سيربطه اليهود فى أورشليم ، و يسلمونه إلى أيدى الأمم » .   (أعمال الرسل ، الأصحاح ، ٢١/ ١٠ ، ١١)

«احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ، و لكنهم من داخل ذئاب خاطفة » .

(إنجيل متى ، الأصحاح ، ٧ / ١٥)

« ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضاً فيما يفتخرون به ، لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة ، فعلة ، ماكرون ، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح » .   (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنتوش ، الأصحاح ، ١١ ١٢، ١٣)

« أيها الأحبار لا تصدقوا كل روح ، بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله ، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم » .

رسالة يوحنا الأولى ، الأصحاح ، ٤ / ١)

« وكان قبلا فى المدينة رجل اسمه سيمول ، يستعمل السحر ، و يدهش شعب السامرة قائلا : إنه شئ عظيم ، و كان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين : هذا هو قوة الله العظيمة » .

(أعمال الرسل ، الأصحاح ، ٨/ ٩ ، ١٠)

« و لما اجتازا الجزيرة إلى بافوس ، وجدا رجلا ساحراً ،

نبياً كذاباً يهودياً ، إسمه باريشوع » .

(أعمال الرسل ، الأصحاح ، ١٣ / ٦)

« فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لايضلكم أحد فان كثيرين سيأتون باسمى قائلين أنا هو المسيح ، و يضلون كثيرين » .

(إنجيل متى ، الأصحاح ، ٢٤ / ٤، ٥)

« هل يجتنون من الشوك عنباً ، أو من الحسك تيناً » .

(إنجيل متى ، الأصحاح ٧ / ١٦)

أما ما يتصل بالعهد المسيحى و الحديث عن مشكلة ظهور المتنبئين والكهان ، والمتزعمين للهداية الربانية المباشرة، فنقتصر هنا على شهادة واحدة لكاتب مسيحى صاحب اختصاص فى الموضوع ، يبدو للتأمل فيها تذمر العلماء المسيحيين من هؤلاء المتنبئين الذين تكاثر عددهم فى العهد الأخير ، وإشفاقهم البليغ على سلامة العقيدة و وحدة الديانة ، و هدوء الحياة ، يقول « ايدون ناكس متكل» (Edwin knox Mitchell) أستاذ تاريخ الكنيسة اليونانية الرومية، و الكنيسة الشرقية فى معهد الديانات ؛ « هارت فورد » (Hart Ford) فى مقال كتبه لدائرة معارف الديانات و الأخلاق ، يقول هذا الكاتب :

« إن ظهور المتنبئين الأدعياء الذين كانوا يدعون الحكمة التى

مصدرها الغيب و ما وراء العقل ، أحدث اضطراباً وعدم ثقة ، و جعل قادة الكنائس وأساقفتها يشعرون بالخطر الذى كان يتهدد مستقبلها ، و يحلق على رؤوسهم ، و لكنهم لم يهتدوا بعد إلى طرق تأديبية ملائمة وافية بالمراد ، لزجر هؤلاء الأدعياء والدعاة ، الذين كانوا يزعمون أن الله يكلمهم ويبوح لهم بأسراره المكتومة ، و لم يكتشفوا بعد ميزاناً يمتحن به مدى روحانية هؤلاء المتزعمين ، و مبلغها من الصدق ، و كان العثور على هذا المعيار و المحك قد أصبح لازماً لمصالح الكنيسة، وكانت الكنيسة مهتدية إليه لامحالة، لتصون الدين — عن طريق هذا المحك — عن الفوضى فى المبادئ الأساسية ، و الحياة عن الاتجاه إلى الالحاد ، و هكذا تستطيع أن تنشئ سياجاً حول كيانها تعيش فيه بهدوء و سلام » .

و يقول و هو يتحدث عن كثرة الأدعياء و المتنبئين فى العالم المسيحى :

« إن تأليف « هيرمو باستر «Hermo Paster» » الذى سماه « Mand » و مؤلفات « إجناتيس » Ignatius مملوءة بتنبيهات و تعليمات ضد الدجالين من المتنبئين و المعلمين » .

و تدل مطالعة كتاب « The didache » على أن الكهانة

كانت لا تزال تتمتع بحرية زائدة ، بل كانت لها مكانة مرموقة فى سوريا (أو مصر) مع أنها كانت فى غالب الأحيان مصطنعة مزورة، و كانت الكنيسة ترفضها رفضاً باتاً ، ولكنها كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة ، و كانت لتفقد اعتبارها فى المستقبل القريب ، و تواجه معارضة واجهها جميع الأشخاص الذين غلوا فى ادعاء الحكمة الغيبية ، إن العارفين الروحانيين (غنوسطين) « Gnostics » و المارسيين « Marcion » كان لهم أنبياء يختصون بهم ، و كنائس تتصل بهم و كان من الصعب فى بعض الأحيان التمييز بينهم ، و كان حركة « موتانزم » (Montanism) مشجعة لدعوى النبوة ، و كانت فى الحقيقة سعياً وراء إحياء الأحوال البدائيـة التى مرت بهـا المسيحية ، حين كان كل مؤمن بهـذه الديانة حراً فى استخـدام المواهب التى أكرمه الله بها .

و اتخذت الكنيسة موقف الدفاع (ضد هذا السيل الجارف من النبوءات و الكهانات ، و المزاعم و الادعاءات) و هكذا فرضت رقابة و حجراً عن طريق الوثائق المكتوبة على الكهانة والنبوءات ، وهكذا فقدت الدعاوى الطويلة العريضة، و«المعجزات» و شفاء الأمراض قوتها و نشاطها ، ولم ينته القرن الثانى المسيحى، حتى أصبح رؤساء الكنيسة و المسئولون عنها مسيطرين على أصحاب

السكهانات و النبوءات ، مالكين لزمامهم (١) » .

ختم النبوة نتيجة حتمية لوضع هذا الدين الكامل :

ثم قد اقتضى ذلك — ختم النبوة — طبيعة هذا الدين الذى جاء به محمد ﷺ ، تاماً كاملا ، فى العقائد والشرائع ، والتعاليم الخلقية و الاجتماعية و المدنية ، حاوياً للأسس السليمة الصالحة ، التى يقوم عليها المجتمع الصالح و المدنية الرشيدة فى كل زمان ومكان ، و يبلغ بها الفرد البشرى ذروته فى التقدم و الاكتمال ، و يحقق به أهدافه الصالحة من غير أن يشعر بعرقلة فى هذا السير الطبيعى ، و البلوغ إلى قمة الحسن و الاحسان ، و الجمع بين حسنى الدنيا و الآخرة ، ومن غير أن يشعر بنقص فى مجال التشريع ، و عجز عن مسايرة الحياة ، وتحقيق مطالبها الفطرية ، بل يجد هذا التشريع سابقاً للزمن ، باهراً للعقل البشرى .

و قد دلت دراسة الكون ، و تتبع سنن الله فى هذا العالم الفسيح ، و فى ماضى الأمم و حاضرها ، أنه لا فضول عنده

---

(١) راجع مقال « النبوة و التنبؤ (فى الدور المسيحى) دائرة المعارف للديانات و الأخلاق Encyclopaedia of Religion and eathics (1939 P. P. 383/84) .

ولا تقصير ، وأن كل شئ عنده بمقدار ، و أنه ينزل الأشياء كلها بقدر ، و أن كل ما نراه مما يبدو زائداً أو قليلا ، أو متجاوزاً أو متخلفاً ، إنما هو من قصور نظرنا و قلة علمنـــا ، و التكليف و التشريع أحق من التكوين و العالم الطبيعى ، بالدقة و الاتقان و التناسب ، لأنه غاية ، و الكون وسيلة ، فلو لم يقم دليل نقلى على اختتام النبوة على محمـــد ﷺ لعرفنا بحكم العقـــل أن النبوة الجديدة التى يمتحن بها البشر بعد النبوة المحمدية إرهاق للبشرية ، فيما لا لزوم له ، و جهاد فى غير جهاد ، ومخالف لما عرفناه من سنن الله فى خلقه و فى هذا العالم .

حيوية هذا الدين ، و قوة توليده ، و إنتاجه للعارفين و أصحاب اليقين و المصلحين والمجددين :

و ليس لأحد من أفراد الأمة بل من أفراد البشر ، فى أى عصر من العصور ، عذر فى عدم الوصول إلى مراتب اليقين ، و أعلى درجات القرب و الوصول ، و غاية الرضا و القبول ، و الاخبات و الانابة ، و تزكية النفس و تهذيب الأخلاق ، إلا ضعف إرادته وفتور همته ، وإخلاده إلى الأرض واتباع الهوى ، أو جهله للقرآن و الحديث ، و إلا فهذا الدين زاخر بالحيـــاة

و القوة والجدة ، متكفل بجميع السعادات الدنيوية و الأخروية ، يبلغ الانسان بالعمـــل به — فى جد و عزم و إخلاص — إلى درجة من درجات القرب و السمو و الكمال ، ليست فوقهـا إلا النبوة .

« وحسبنا الكتاب المعجز الخالد الذى يتدفق بالحياة والقوة ، و الذى لا تبلى جـدته ، و لا تنقضى عجائبه ، و« الصلاة » التى تزخر بالقوة و الحيوية كذلك ، و لهـا من الفضل و التـأثير فى ربط الصلة بالله و الوصول إليه ، و قطع منازل القرب و الولاية ما ليس لشئ آخر فى الدين ، و بهما وصل المخلصون و المجاهدون من هذه الأمة فى كل عصر وجيل ، إلى مكانة فى الايمان و اليقين و العلم و المعرفة ، و الربانية و الروحانية ، و القرب و الولاية ، لا يصل إليها ذكاء الأذكياء ، وقياس العقلاء و الحكماء ، وما زالوا فى عدد يفوق العد والاحصاء ، ولا يزالان يفيضان النمو والحياة ، و الجدة و النشاط ، و الروحانية الصافية الدافقة فى نفوس هـذه الأمة و أجيالها ، تستغنى بهما هذه الأمة عن نبوة جديدة ، وبعثة جـديدة ، و تعيش متصلة بالله مرتبطـة به فى كل دور من أدوار حياتها ، و فى كل عهد من عهود التـــاريخ ، تستمد لنفسها من القرآن و الصلاة رابطة قلبية و قوة روحية ، و تمد إلى العـــالم

المعاصر يد الدلالة والهداية ، ولذلك يقول الله تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهـــاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل و فى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اعتصموا بالله ، هو مولاكم ، فنعم المولى و نعم النصير (١) » .

ثم إن هذ االدين تكمن فيه قوة حافزة عجيبة ، عـلى الثورة على كل ما يخالف هذا الدين وينحرف عن الجادة ، ويعرض الانسانية وبقايا الخير للهلاك والتلف ، باعثة على التحدى للباطل ، ومحاربة قوى الشر و الرذيلة ، و الدعاة إلى الافساد و الالحاد ، و رد الأمر إلى نصابه ، و على الحسبة على الأخلاق ، و كلمة حق عند سلطان جائر ، و المجازفة بالحياة ، و التخلى عن المنافع واللذات ، و الانكار على البدع و الخرافات ، و الفتن والضلالات ، مهما كلف ذلك من خسارة فى الأموال و الأرواح ، وعذاب للأبدان و الأجسام ، فلم يزل هذا الكتاب الذى يفرض على المسلمين أن يكونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولوعلى أنفسهم أو الوالدين

(١) سورة الحج : ٧٨ .. ما بين الهلالين مقتبس من كتاب المؤلف «الأركان الأربعة» .

و الأقربين ، غير متعاونين على الأثم و العدوان ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، أولياء لله و لأتباعه ، محاربين للشيطان ولأوليائه، لايبيعون دينهم بدنياهم ، ولا يؤثرون العاجلة على الآجلة ، وترد الأخبار الصحيحة الصريحة الحاسمة فى و جوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، والجهاد بما استطاعه الانسان من يد و من لسان وقلب، والوعيد الشديد لمن ترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و مالأ أعداء الله و المحرفين و المبتدعين، و تواتر ذلك و استفاض ، فظل هذا الكتاب ينشئ فى كل ناحية من نواحى العالم ، وفى كل فترة من فترات التاريخ الاسلامى ، من يحمل راية الجهاد والتجديد ، و يقود حركة الاصلاح والدعوة ، ويخوض المعركة ، غير مكترث بالعواقب « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، و ما بدلوا تبديلا (١) ».

و قد بشر لسان النبوة بأن الله يقيض لهذه الأمة فى كل قرن — وهو فترة زمنية ذات اعتبار فى حياة الأمم — من يقوى صلتها بهذا الدين وينفخ فيها روحاً جديدة، فقال : « إن الله يبعث

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٣ .

لهذه الأمة على رأس كل مأة سنة من يجدد لها دينها (١) » .

و هو الكتاب الذى منع من الانحراف مع تيار الفساد و الضلالة ، و الترف و الجاهلية ، و نفخ روحاً جديدة فى أجساد ضعيفة ، و أشعل شعلة الايمان و الحماس فى همم هامدة ، و قلوب خامدة .

اتصال تاريخ الاصلاح والتجديد فى الاسلام ، وسره :

« إن تاريخ الاصلاح و التجديد متصل فى الاسلام ، و المتقصى لهذا التاريخ لا يرى ثغرة ولا ثلمة فى جهود الاصلاح والتجديد ، ولا فترة لم يظهر فيها من يعارض التيار المنحرف ويكافح الفساد الشامل ويرفع صوت الحق ، ويتحدى القوى الظالمة ، أو عناصر الفساد ، و يفتح نوافذ جديدة للتفكير ، و الدارس لهذا التاريخ و المتتبع لحوادثه و شخصياته لا يعرف عهداً قصيراً ساد الظلام فيه على العالم الاسلامى ، وخبت مصابيح الاصلاح ، وخفتت أصوات الحق ، ومات الضمير الاسلامى ، وتبلد الشعور ، وأضرب الفكر الاسلامى عن العمل ، إن هذه الثغرات التى قد نشعر بها

(١) رواه أبو داؤد عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، و لعلماء الاسلام بحوث و رسائل فى شرح هذا الحديث و ذكر من كان مصداقه فى تاريخ الاسلام ، تجلت فيها أذواقهم و اتجاهاتهم .

فى دراستنا العابرة للتاريخ الاسلامى، وفى نظرتنا العجلى فى كتبه، إن مردها إلى منهاج التأليف الذى اتخذه المؤرخون للاسلام قديماً و حديثاً، و درجت عليه الأجيال، إن النقص فى التأليف وليس فى التاريخ، أوبكلمة أخرى: إن المسؤلية على المؤرخين والمؤلفين، لا على المجددين والمصلحين، الذين ظهروا حيناً بعد حين، وحفظوا على الاسلام جدته و شبابه، و قضوا على كثير من الفتن والبدع و المؤامرات و التحريفـات، حتى أصبحت مطمورة فى ركام الماضى، لا يهتدى إليها أحد فى هذا العصر إلا بعد بحث وعناء، و كثير من أفراد هـذا الجيل لم يسمعوا بأسمائهـا و لا يعرفون حقيقتها إلا بشق الأنفس، و إجهاد العقل و العين، و قد كان بعض هذه المذاهب و بعض الحركات تتمتع بحماية البلاط، وتستند إلى الملك و السلطان و المال و الجاه، و قد كانت فى عصرهـا صاحبة حول و طول، و لكنها طويت — بفضل جهود هؤلاء المسلمين المصلحين المخلصين — فى صحـائف المـاضى، و أصبحت موضوع علماء الآثار، لا محل لها إلا فى المتاحف والصحائف(١)».

جناية عقيدة استمرار النبوة أو «الامام المنتظر»
على الشعور بالمسؤلية، وقوة مقاومة الفساد:

و لا شك أن الفضل فى اتصال تاريخ الجهـاد و التجديد،

(١) مقتبس من «رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام» ص: ٢٧.

و البطولات و المغامرات ، فى سبيل إعادة الأمور إلى نصابها ، و المياه إلى مجاريها الطبيعية ، والأخذ على يد الظالم ، و الانتصار للظلومين فى تاريخ الاسلام ، يرجع إلى اعتبار الأمة — خاصة العلماء منها — نفسها مسئولة عن إقامة الحق والعدل ، و الموازين القسط ، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و الدعوة إلى الدين الخالص ، لا تنتظر لذلك نبياً جديداً يبعث ، و قوة غيبية تتصل بالسماء اتصالا مباشراً ، ولا تعتمد فى ذلك على شئ غامض يجل عن العقول و الظواهر ويدق فهمه ، فيقوم على مجرد التقليد و التقديس .

و الأمم و الطوائف — الاسلامية و غير الاسلامية — التى تمسكت بمثل هذه العقائد ، لم تعتبر نفسها مسئولة و لا مكلفة لمحاربة الباطل و قوى الشر ، و إقامة الحق والعدل ، و عاشت فى عالم الخيال و الأمانى و الأحلام قروناً طويلة ، و استسلمت للأوضاع الفاسدة ، و أخلدت إلى الدعة و الراحة و التواكل ، و ضعفت فى تاريخها حركة الاصلاح والتجديد ، وخفتت أصوات الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و يحار المتتبع لتاريخها فى فهم السر فى هذا الفراغ الذى لا يحمل على مجرد مصادفة ، ويعجز عن تعليله ، و ما ذلك إلا لاعتماد هذه الطائفة الإعتماد الزائد على

شخصية غامضة مقدسة ، تحمل من علوم الأسرار والأمانة الباطنة ، و الصلة السرية بينه و بين فاطر الكون و صاحب الرسالة ما لا يحمله غيرها ، و ستفاجئ العالم بظهورها فى وقت مناسب ، وتقلب الأوضاع (١) .

و لاشك أن قضية نبي جـديد ، و أنبياء جدد ، و عقيدة استمرار النبوة و نزول الوحى و المكالمات و المخاطبات الالهيـة التى أسس عليها بعض المدعين نبوتهم ، و استدلوا بهـا فى صدق دعواهم ، أدق وأخطر ، و أعمق تأثيراً فى العقول والنفوس ، فانها تضعف ثقة هذه الأمة بصلاحية دينها وشريعتها ، و خلود رسالتها ، و استغنائها عن نبوة جديدة ، و عن تعليمات جديدة من السماء ، و تحول بينها و بين اعتمادها على طاقاتها و صلاحيتها و كفاحها ، من حيث تشعر و من حيث لا تشعر ، هذا عدا أن إمكان ذلك يجعلها فريسة للأدعياء و الدجالين ، و المحترفين المشعوذين ، ولعبة

(١) و خير مثال لهذا الاعتقاد و الاعتماد ، ما يعتقده الشيعة الامامية فى الامام الغائب ، وهو الامام الثانى عشر فى اعتقادهم ، فيعتقدون أنه برجوعه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ، و هو محمد المهدى ابن الحسن العسكرى ، ولد ببغداد سنة ٢٥٥ﻫ و يعتقدون أنه دخل مع أمه سرداباً فى « سامراء » و لم يعد إلى الآن و هو حى لم يمت (اقرأ « أصل الشيعة و أصولها » للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ص : ٢ - ١٠٩ .

لدهائهم و ذكائهم .

رحمة بالأمة الاسلامية و منة عليها :

فكان من أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة ومن خصائصها سد هذا الباب إلى الأبد ، و الاعلان السافر الصريح الواضح البين بأن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ ، و أن الدين قد أكمل للمسلمين قبل أن يفارق الرسول هذا العالم ، ويلحق بالرفيق الأعلى ، و أن الله قد أتم نعمته على هذه الأمة ، فلا نبي بعد محمد ﷺ ، و لا أمة بعد الأمة الاسلامية ، و تلك نعمة حسد المسلمين عليها حكماء اليهود و فقهاؤهم الذين عرفوا بلاء اليهود من كثرة أدعياء النبوة و متزعميها فى العالم اليهودى ، وما جر ذلك من بلبلة فكرية و اضطراب عقائدى ، وصراع مذهبى ، و تمزق اجتماعى ، فقد جاء فى الحديث الصحيح : « جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية فى كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت ، لا تخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : وأى آية ؟ قال : قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى » فقال عمر — رضى الله تعالى عنه — : « و الله إنى لأعلم اليوم الذى نزلت على رسول الله ﷺ ، والساعة التى نزلت

فيها على رسول الله ﷺ ، عشية عرفة فى يوم جمعة (١) » ، و هذا يدل على عظم هذه النعمة و جلالتها ، حتى يتحسر علماء اليهود ، و يحسدوا المسلمين عليها ، كما أنه يدل على أن الأديان السابقة لم يكن لها حظ من هذا الاعلان و الضمان ، و الكرامة و الكفالة ، و كان ذلك بطبيعة الحال ، فانها كانت فى دور النشوء و الارتقاء ، و كانت السلالة البشرية فى دور التطور و الانتقال . و كانت الرسالة الأخيرة الخاتمة التى فصلت على أكبر قامة و أدق مقياس لم تنزل بعد ، وتلك مزية خص الله بها محمداً ﷺ آخر الرسل وخاتم النبيين . وأكرم الله بها هذه الأمة ، آخر الأمم وأوسطها .

الحارس من الفوضى الفكرية :

لقد بقيت عقيدة ختم النبوة تحرس هذا الدين من غائلة المبتدعين ، و فتنة المتنبئين و المتزعمين ، و تحرس هذه الأمة من الفوضى الفكرية و الدينية ، التى كانت الأمم السابقة و الديانات السالفة فريستها ، و استطاع هذا الدين و استطاعت هذه الأمة — بفضل هذه العقيدة — أن تقاوم المؤامرات الدقيقة ، و تحتمل الصدمات العنيفة ، و بقيت وحدة فى الدين و العقيدة ، لم تواجه

(١) رواه البخارى ، و أصحاب الصحاح والسنن ، والامام أحمد ، واللفظ لأحمد.

ثورة داخلية أو اضطراباً فكرياً — إلا ما كان من الباطنية فى العهد القديم — و لا تنقسم هذه الأمة فى الأمم ، لكل وجهتها، ولكل مركزها الروحى و مصدرها العلمى و الثقافى ، و لكل تاريخ منفرد و ماض مختلف .

فضل عقيدة ختم النبوة على المدنية :

وقد بعثت هذه العقيدة فى الانسان الثقة ببلوغه سن الرشد ، وكان ذلك حافزاً للانسان على التقدم فى مضمار المدنية ، والاعتماد على العلم، والتجربة فى الحياة اليومية ، فليست حاجة العالم اليوم أن ينتظر وحياً جديداً من السماء فيرفع بصره إليها ، وإنما حاجته اليوم أن يفكر فى مواهب هذا الكون وطاقاته التى خلقها الله تعالى ليشغلها الانسان فى صالحه ، ويستخدمها لحوائجه ، كما أن حاجته اليوم أن يفكر فى نفسه ، و ينظر إلى الأرض لبناء حياة أفضل ، تقوم على أساس من الدين والأخلاق ، إن الاعتقاد بانتهاء النبوة يبعث فى الانسان روح الطموح والتقدم ، ويحثه على بذل مواهبه ، ويعين له المجال السليم لكفاحه و جهوده .

لولا عقيدة ختم النبوة لفقد الانسان ثقته بنفسه ، و بقى فى ريب دائم ، وظل شاخصاً ببصره إلى السماء ، بدلا من أن ينظر إلى الأرض ، و فقد ثقته بمستقبله ، و ثارت شبهات و شكوك

حوله ، و وقع فريسة المتنبئين على الدوام ، و لا يظهر متنبئ يؤكد له «أن الروضة الانسانية كانت ناقصة ، فجئت و بلغت إلى كمالها (١) » إلا أنه يضطر إلى اعتقاد أن هذه الروضة إذا كانت ناقصة إلى الآن . فأى ضمان لكمالها فى مستقبل الحياة الانسانية .

و هكذا يستمر انتظاره لمن يبلغ بهذه الروضة إلى حد الكمال ، دون أن يتمتع بأزهارها وأثمارها، ودون أن يهمه سقيها و ريها .

يقول الدكتور محمد إقبال فى كتابه « تجديد الفكر الدينى فى الاسلام » :

« إن النبوة فى الاسلام لتبلغ كمالها الأخير فى إدراك الحاجة إلى إنهاء النبوة نفسها ، و هو أمر ينطوى على إدراكها العميق ، لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلى الأبد على مقود يقاد منه ، وأن الانسان لكى يحصل كمال معرفته لنفسه ينبغى أن يترك ليعتمد فى النهاية على وسائله هو، إن إبطال الاسلام للرهبنة ، ووراثة الملك و مناشدة القرآن للعقل و التجربة على الدوام ، و إصراره على أن النظر فى الكون و الوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة

---

(١) من كلام متنبىء الهند المرزا غلام أحمد القاديانى فى شعر له .

الانسانية ، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة (١) » .

فتنة المتنبئين الكبرى :

لم يمتحن الاسلام و المسلمون فى تاريخ الاسلام الطويل بفتنة أعظم و أدق من فتنة المتنبئين ، إلا أن دعوة أكثرهم لم تلق نجاحاً يذكر ، و قد ماتت فى مهدها ، و لم يبق لها عين ولا أثر ، و لكن الشأن يختلف فيما يختص بمتنبئ شبه القارة الهندية فى القرن التاسع عشر و العشرين : المرزا غلام أحمد القاديانى (١٨٤٠ — ١٩٠٨) لأسباب سياسية اقتضت ذلك (٢) .

فقد فتح باب النبوة على مصراعيه ، و قال : « إن اتباع النبي ﷺ يمنح كمالات النبوة ، وإن العناية بذلك والاهتمام ينحت الأنبياء الجدد و يخلقهم (٣) » ، و قال نجله و خليفته المرزا بشير الدين محمود : «لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت ، ماقدروا الله حق قدره ، إنكم تتنازعون فى نبي واحد، وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي بعد محمد ﷺ (٤) » .

---

(١) « تجديد الفكر الدينى فى الاسلام » ترجمة عباس محمود . ص : ١٤٤ .
(٢) راجع كتاب المؤلف « القاديانى و القاديانية » .
(٣) « حقيقة الوحى » للمرزا غلام أحمد ، ص : ٩٦ .
(٤) « أنوار خلافت » ص : ٦٢ .

و قد أحدث ذلك فوضى فى النبوة ، وفقدت كلمة «النبوة» جلالتها و حرمتها و قداستها ، و أصبحت ألعوبة و عبثاً ، وهان على الناس بصفة عامة بعد المرزا أن يتنبأوا ، وما عرفنا فى التاريخ الهندى — الذى لا يزال محفوظاً إلى حد كبير — شخصية أنكرت ختم النبوة ، و تجرأت على تأسيس دين جديد ، سوى الامبراطور « أكبر » غير أنه لم يدع النبوة ، كما ادعاها المرزا بصراحة و تنظيم ، و لكن المرزا هو أول من فتح هذا الباب بوجه عام ، و نهض عدد من المتنبئين ، و قد عد منهم الأستاذ محمد إلياس البرنى إلى عام (١٩٣٦م — ١٣٥٥ﻫ) سبعة ، ولاشك أنه لم يكن إحصاءاً دقيقاً ، وإلا فان قام أحد بإحصائهم بشئ من الاهتمام و الدقة ، لوجد فى نفس مقاطعة « بنجاب » أكثر من هذا العدد بكثير .

وقد احتج على كثرتهم وضعف آرائهم ، و سفاهة أحلامهم المرزا بشير الدين محمود نفسه فى إحدى محاضراته ، يقول :

« لقد نشأ فى جماعتنا كثير ادعوا النبوة ، و أعتقد أنهم ليسوا فى الدعوى كاذبين غير واحد منهم ، وفى الحقيقة إنهم ألهموا فى أول الأمر ، ولا عجب إذا كان هذا الالهام باقياً إلى الآن ، و لكن الخطأ الذى وقعوا فيه هو أنهم أخطأوا فى فهم تلك

الالهامات ، وأنا شخصياً أعرف بعض هؤلاء حتى أستطيع الاقرار اخلاصهم و خشيتهم لله ، و لا يدرى ما فى قلوبهم إلا الله ، سوى أنهم كانوا فى بادئ الأمر مخلصين ، وكانت بعض إلهاماتهم من الله . ولكن الذى سبب خسارتهم هو أن حكمتها خفيت عليهم فعثروا (١) » .

فتنة «المكالمات و المخاطبات الالهية» و رؤية البارى تعالى فى الدنيا :

و يعرف المطلع على التاريخ الفكرى وتاريخ التصوف — الاسلامى و غير الاسلامى — أن الاتصال بعالم الغيب عن طريق الرياضات و المجاهدات ، و تلقى الالهام و الكلام ، و الهتافات و الأصوات من هذا العالم ، كان مدخلا واسعاً للأوهام و المغالطات و التناقضات ، و دخل منه الشئ الكثير من الأضاليل والأباطيل عن قصد و عن غير قصد ، كان من الصعب دائماً التمييز بين مصادرها و درجاتها ، و ما هو من الله ، و ما هو من الشيطان (٢) ، وما هو نابع عن العادات و المألوفات ،

---

(١) « الفضل » أول يناير ١٩٣٥ م .

(٢) وقد أشار إلى هذا الامكان الدكتور محمد إقبال الذى كان من كبار علماء الفلسفة فى العصر الحديث ، فقال : « إنى أعترف بأن مؤسس الجماعة الأحمدية

و العلم السائد و الثقافة المنتشرة ، و العقائد التى نشأ عليها هذا « الملهم» أو «المحدث » أو « المكشوف له » وقد بين علماء هذا الشأن الذين سلكوا هذا الطريق أن التجرد عن تأثير العوائد و العقائد و البيئة فى تلقى هذه « المغيبات » و فهمها يكاد يكون مستحيلا (١) .

= (القاديانية) سمع صوتاً و لكن الحكم بأن هذا الصوت كان من عند الله الذى بيده الحياة و القوة ، أم كان مصدره الافلاس الروحى الذى كان سائداً فى الناس ؛ يتوقف على هذه الحركة التى خلقها هذا الصوت ، إلى أن قال : «إذاً أعتقد أن هؤلاء الأبطال الذين أسهموا فى تمثيلية « الحركة الأحمدية » كانوا ألعوبة فى يد الانحطاط و الزوال (حرف إقبال ص : ١٥٧ — ١٥٨) .
و أبلغ من ذلك ما قاله فى البيت : « أعاذ الله من إلهام ماهم نشأ و عاش فى حكم أجنبى، فانه أضر بالأمم ، وأشد فتكا بها من الفاتحين الوحوش أمثال « جنكيز » و « هولاكو » .

(١) لقد شرح الامام الربانى الشيخ أحمد السرهندى (م ١٠٣٤هـ - ١٦٢٤ م) هذه النقطة شرحاً وافياً فى بعض رسائله وجاء باشارات بليغة فى هذا الموضوع تقوم على التجربة الشخصية و العلم العميق و الاطلاع الواسع ؛ إنه يرى أن العقل المجرد والكشف المجرد شيئآن يندر وجودهما ووقوعهما. ومن المصادفة العجيبة والتوارد الغريب أن الفيلسوف الألمانى الشهير «كانت» (١٧٢٤-١٨٠٤) (Emmanual Kant) الذى ظهر بعده بمأة و ثمانين سنة ، أبدى عدم ثقته بالعقل المجرد ، و قدرته على التعبير و الحكم متحرراً عن البيئة و المجتمع ، و التراث ، و العادات و المعتقدات (انظر كتاب نقد العقل المجرد (Critic of Pure Reason) و قد تقدم الامام الربانى خطوة و بحث فى قضية الكشف المجرد و الالهام المجرد ؛ لأنه سار على هذا الدرب ، و جرب هذه الأمور بنفسه ، و أهل مكة أدرى بشعابها (اقرأ رسالته إلى الشيخ عبد الله و الشيخ عبيد الله من أبناء الشيخ الكبير عبد الباقى النقشبندى الدهلوى - رقم ٢٦٦) - المجلد الأول) .

و كل من جعل هذه « المكالمات و المخاطبات الالهية » أو رؤية البارى تعالى شرطاً للهداية أو للنجاة، أو لكمال الايمان (١)، و أسس على ذلك نبوة جديدة أو دعوة جديدة ، و ألزم ما لم يلزم ، و جنى على هذا الدين الذى هو عام للبشر جناية عظيمة ، و أفقده بساطته و سهولته ، وعمومه للبشرية ، و فتح باباً واسعاً للفساد والاضطراب والفوضى ، كما فعل المرزا غلام أحمد القاديانى ، فقد جعل « المكالمات و المخاطبات الالهية » شرطاً لصحة الديانة ،

---

(١) كما فعل ذلك السيد محمد بن يوسف الحسينى الجونفورى (٨٤٧ - ٩١٠هـ) فادعى أن الانسان إذا لم يسعد بالمشاهدة الالهية و لم ير البارئ تعالى بالعين أو بالقلب فى اليقظة أو فى المنام فليس بمؤمن ، و قد أحدث ذلك اضطراباً عظيما فى المجتمع الاسلامى الممتد من شرق الهند إلى غرب أفغانستان فى القرن العاشر الهجرى ، و أصبح الشغل الشاغل للسلمين ، العلماء منهم والسلاطين .
و كان السيد المشار إليهَ صاحب صدق و عزيمة ، و استعداد باطنى عظيم ، و كان له شأن رفيع فى التأثير فى النفوس و القلوب ، و الدعوة إلى الله ، و إيثار مرضاته على غيره ، و الزهد فى الدنيا و أسبابها ، و الهجرة فى الله والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، إلا أنه شبه له فى فهم ماكان يكشف له أو يسمعه ، فادعى أنه « المهدى الموعود » الذى يظهر فى آخر الزمان ، و غلا فى دعوته ، و اشترط ما ليس بشرط ، وكلف المسلمين بما لم يفرضه الله عليهم ، و لم يطالبهم به (اقرأ ترجمته فى الجزء الرابع من نزهة الخواطر للعلامة عبد الحى الحسنى] .

و نتيجة طبعية للعمل بالأحكام الشرعية ، و السعي في العبـادة ، و زعم أن الدين الذي لا توجد فيه هذه المخاطبات الالهية ، إنما هو دين باطل و ميت ، بل هو دين الشيطان المؤدي إلى جهنم ، و إذا كان أتباع دين لم يتشرفوا بهذه النعمة رغم عباداتهم وعلمهم بالأحكام الشرعية ، فانما هم في جهل و غواية (١) .

و تهافت هذا الرأي و سخافته غنية عن الرد عليه ، و بسط القول فيه ، وحسب القارئ أن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - الذين كانوا زرع النبوة وغرس القرآن ، والجيل المثالي في تاريخ البشرية ، و على أكتافهم قام الاسلام ، لم يدعوا هذه « المكالمات و المخاطبات » ورؤية الباري تعالى بالعين أو القلب ، ولم ينسب التـاريخ إليهم ذلك ، و لم يعرف عنهم التنـافس فيه أو الحرص عليه ، أو التأسف على فواته ، فكيف بمن جاء بعدهم ، و لم يبلغ شأوهم في الدين و العلم (٢) .

و قد لوحظ في التاريخ مراراً أن كل دعوة متطرفة قامت على مثل هذه الدعاوى و الافتراضـات و التجـارب الشخصية ، لم تفد إلا إنشاء طائفة متطرفة تنشق عن المسلمين وتنابذهم ، وقد

---

(١) اقرأ كتاب « براهين أحمدية » للمرزا غلام أحمد القادياني ج : ٥ ص ١٨٣ .
(٢) اقرأ للتفصيل كتاب المؤلف « القادياني و القاديانية» الباب الرابع ، الفصل الثاني.

تكفرهم ، و تتحول على مر الزمان ديانة مستقلة ، و تصبح مشكلة جديدة فى المجتمع الاسلامى و الانسانى تعيي كبار العقلاء و القادة حلها والتغلب عليها (١) ، و لا تخدم مصلحة من مصالح الانسانية و إصلاح النفوس و الدعوة إلى الله (٢) ،

الالهام الجماعى لمصلحة الاسلام و المسلمين :

و قد أكرم الله بنصيب كبير من « الالهام الجماعى » الذى لا خطر فيه ولا ضرر ، وهو أن يلهم عدد من أصحاب النفوس الزكية ، و القصد الصالح و العلم الراسخ الصواب فيما تحار فيه الألباب ، و تختلف فيه الآراء ، و السعى وراء عمل فيه مصلحة الاسلام و المسلمين و تقوية للدين و ذب عن حوزته ، فيشعرون باندفاع إلى القيام بهذا العمل ، لا يستطيعون له قهراً و لا دفعاً، وكأنهم مضطرون إلى ذلك محاسبون عليه ، فيبذلون فى ذلك النفس و النفيس ، و يهجرون فى سبيله راحاتهم و لذاتهم ، و يرون فى تحقيقه أكبر سعادة و أعظم لذة .

وقد يكون ذلك بعدد قليل كما وقع فى قضية الأذان لعبد الله

---

(١) و قد عالجت حكومة باكستان هذه المشكلة بفصل الطائفة القاديانية عن المسلمين واعتبارها أقلية غير مسلمة ، رسمياً ، وهذا عند كتابة هذه المقالة .

(٢) اقرأ تاريخ الحركات الهدامة فى الاسلام و فى الديانات الأخرى .

ابن زيد بن عبد ربه ، و عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فقد توافقت رؤياهما ، ولقن كل واحد منهما كلمات الأذان فى المنام ، و وافق عليه رسول الله ﷺ و استحسنه ، فشرع الأذان الذى ينادى به للصلاة فى العالم الاسلامى اليوم (١) ، وكما وقع فى أمر ليلة القدر ، فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر ، فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر » وقريب من ذلك أمر صلاة التراويح التى ثبت أصلها عن النبي ﷺ ، وقد تركها بعد ثلاثة أيام لئلا تفرض على أمته فرضاً فتشق عليها (٢) ، وكان المسلمون يصلونها فرادى ، فجمعهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عليها ، و كانت إشارة عمر على ذلك إلهاماً من الله و توجيها منه ، فكان فى ذلك خير كثير ، و ألهم الله المسلمين المحافظة على هذه الصلاة بجماعة ، و الحرص عليها ، و ختم القرآن فيها ، و كان عاملا كبيراً من عوامل حفظ

---

(١) اقرأ الحديث الطويل الذى رواه أبو داؤد و الترمذى والدارمى وابن ماجة.

(٢) اقرأ ما رواه البخارى ، عن عائشة رضى الله عنها فى « باب فضل من قام رمضان » .

القرآن و المحافظة عليه ، و السبق فيه ، و إحياء ليالى رمضان ، ويرى الفرق واضحاً بين أهل السنة الذين أخذوا بسنة التراويح ، و بين الطوائف التى أنكرتها ، فى انتشار حفظ القرآن ، وتدارسه و الاهتمام به .

وقد يكون ذلك بعدد كبير و جم غفير يستبعد العقل السليم تواطؤهم على الكذب ، أو تآمرهم على الشره ، فيعود ذلك على الاسلام و المسلمين بنفع عظيم و خير كثير ، أو تسد به ثلمة فى ثغر الاسلام ، أو يزال به وهن يدخل على المسلمين ، أو يحقق مقصداً من مقاصد الدين العظيمة ، ومن أمثلة هذا الالهام الجماعى المبارك ، الذى ألهم به عدد لا يحصى كثرة من العلماء الراسخين و العاملين المخلصين جمع القرآن فى المصاحف فى زمن أبى بكر ، و جمع الحديث و تدوينه فى القرن الأول و الثانى إلى ما بعدهما ، و استنباط الأحكام والاجتهاد الفقهى من القرن الأول إلى عصر المجتهدين و أئمة المذاهب فى القرون الأولى ، ووضع علم النحو ، و علم القراءات ، و أصول الفقه ، إلى غير ذلك من العلوم النافعة الضرورية ، لحفظ سلامة اللغة التى نزل بها القرآن ، وصيانة القرآن من اللحن و الفوضى ، و كتأسيس المدارس و تأليف الكتب ، و طرق نشر العلم ، و غير ذلك مما اقتضته الأحوال ،

و اختلاف الزمان و المكان .

و كالعناية بتزكية النفس و تهذيب الأخلاق ، وتبيين غوائل النفس و مكائد الشيطان ، و الربانية الصافية التي لا تشوبها البدع ، حتى أصبح ذلك علماً مستقلا ، وتخصص له رجال بلغوا فيه درجة الاجتهاد ، و اعتبروه أكبر عبادة و أعظم جهـاد ، فأحيي الله بهم موات القلوب ، وشفى بهم أعلاء الأرواح ، ونشطوا فى الدعوة إلى الاسلام ، فانتشر بهم الدين الحنيف فى أنحاء العالم البعيدة ، و دخل الناس فى دين الله أفواجاً ، و كان لهم فضل خاص فى انتشار الاسلام فى شبه القارة الهندية (و خاصة فى المناطق التى لم يغزها جيش إسلامى كـ « كشمير » و « بنغال الشرقية) و فى جزر المحيط الهندى ، وقارة إفريقيا ، و كان لهم فضل كذلك فى مقاومة قوى الباطل و كلمة حق عند سلطان جائر ، و مواجهة الزحف الأجنبي (١) . و كالرد على الفرق الضالة ، و الفلسفات لالحادية المثيرة للشكوك و الشبه ، الناشرة للاضطراب فى العقيدة و الوهن فى العمل ، و قد تجرد لذلك خيار المسلمين علماً وذكاء ، و مقدرة علمية و قوة إيمان ، فكان كل ذلك إلهاماً من الله ،

---

(١) اقرأ تفصيل ذلك فى فصل « بطولة و كفاح ، لا بطـالة و استسلام » فى كتابنا « ربانية لا رهبانية » طبع دارالفتح بيروت ١٣٨٨هـ .

تكرم به جماعة كبيرة من المسلمين فى كل دور من أدوار التاريخ الاسلامى ، و فى كل مركز من مراكز العلم و الحضارة ، فكان دليلا على عناية الله بهذه الأمة التى هى آخر الأمم وأمل الانسانية، و على مكانتها من الله ، و هذا الالهام الذى لم ينقطع ، و المدد الالهى الذى لم يتخلف ، دليل ساطع على ختم النبوة وانقطاعها بعد محمد ﷺ ، لا يوجد له نظير بهذا الوضوح والاستمرار فى الأمم السابقة ، إذ لم تكن فى حاجة إليه ، فقد كانت سلسلة النبوة مستمرة ، و النبوة باقية .

التفريق بين المسلمين :

إن البلبلة الفكرية و الاضطراب العظيم الذى تحدثه هذه النبوءات الكثيرة المزعومة ، و ما يؤول ذلك إلى تفريق بين المسلمين وتمزيق وحدة الأمة الاسلامية ، يبعث فى كل قلب مسلم وحشة و قلقاً ، و لم يتعود الناس فى هذا العصر الذى يتسم بسمة اللادينية و الالحاد ، أن يهتفوا بقولهم « أنا الحق » و لكنه إذا نشأت هنا فى العالم الاسلامى « هواية » التنبؤ بتأثير المرزا غلام أحمد القاديانى ، و دعاته المتحمسين ، و ظهر رجال فى مختلف أرجاء العالم الاسلامى يرفعون راية « النبوة » ، و يكفرون الذين

لا يقبلون دعوتهم كنتيجة حتمية للنبوة ، فلا ينتج ذلك سوى بلبلة فكرية و فوضى دينية ، و اصطدام بين الأفكار ، و يتوزع العالم الاسلامى بين معسكرات مختلفة ، و تقع هذه الأمة التى جاءت لمحو كل عصبية من اللون والجنس والوطن، وإنشاء الأخوة الاسلامية ، فريسة التفريق و التكفير ، و العصبيات الدينية (١) .

لقد أحس بخطر القاديانية الأستاذ محمد على اللاهورى (٢)، و أبداه فى إحدى مقالاته بكل قوة و وضوح ، غير أنه لم يفكر أن فاتح هذا الباب إنما هو إمامه المرزا غلام أحمد ، و أنه هو

---

(١) و قد كان العلامة الدكتور محمد إقبال الشاعر الفيلسوف ، دقيق النظر جداً فى قوله المأثور : «إننا نعتقد أن الاسلام دين أوحى الله به ؛ ولكن وجود الاسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم . و اعتقاد أنه كان آخر الرسل و خاتم النبيين ، وهو خط التحديد الدقيق بين الدين الاسلامى و الديانات الأخرى .

(٢) هو أمير الفرع اللاهورى الذى يسمى « الجماعة الأحمدية اللاهورية » و هو صاحب ترجمة القرآن الانجليزية المعروفة ؛ وتفسير « بيان القرآن» ومؤلفات كثيرة ، و هو لا يقول بنبوة المرزا غلام أحمد ، ويؤول ما صدر عنه من تصريحات فى هذا الصدد ، إنما يعتقد أنه كان « المسيح الموعود » ، و مجدد القرن الرابع عشر الأعظم ، و المصلح الأكبر .
اقرأ لمعرفة آرائه و تأويلاته فى القرآن ؛ الفصل الثالث من الباب الرابع من كتاب « القاديانى و القاديانية » .

أول شخص عرض فكرة استمرار النبوة كحركة و دعوة ، يقول الأستاذ محمد على يناشد أهل البصيرة و الانصاف :

« أنشدكم بالله ، إن صح الاعتقاد بأن النبوة لم تنقطع ، وأن الأنبياء لا يزالون فى غدو و رواح إلى هذا العالم ، كما صرح بذلك محمود أحمد (١) فى « أنوار الخلافة » أفلا تزال هذه الطوائف التى تعد بالآلاف تكفر بعضها بعضاً ، و تغيب الوحدة الاسلامية ؟ نفرض أن هؤلاء الأنبياء يبعثون فى الجماعة الأحمدية (القاديانية) وحدها ، أفلا تمزق بذلك الجماعة الأحمدية نفسها ، إنكم لا تجهلون السنن القديمة ، و تعرفون كيف كان الناس ينقسمون بين موافق ومعارض على مبعث نبي ، إن الله الذى قضى بتوحيد شعوب العالم و أممه ، أيمزق المسلمين و يقطعهم إرباً إرباً ، يكفر بعضهم بعضاً ، و تتوتر بينهم العلائق و الصلات ، و تصبح الأخوة الاسلامية أثراً بعد عين ؟ اعلموا إذا كان الله قد وعد لهذا الدين بأن يظهره على الدين كله ، و هو لا يخلف الميعاد ، فان الاسلام لا يبتلى بهذه المحنة ، ولا يأتى يوم ينفرد كل نبي بحزبه ، وتتوزع المسلمين دعوات مختلفة ، و رايات مختلفة ، ومراكز روحية مختلفة ، ويصبح

---

(١) هو نجل المرزا غلام أحمد القاديانى ، و خليفته الثانى .

كهنتها محتكرين للايمان و النجاة ، يكفرون سائر المسلمين (١) ..

و الحاصل أن عقيدة انتهاء سلسلة النبوءات ، و تعليم البشر العقائد و الشرائع عن طريق الوحي و الملائكة و الروح الأمين ، و ما تتوقف عليه نجاتهم فى الآخرة ، على محمد بن عبد الله بن عبد المطلب العربي الهاشمي القرشي — عليه ألف ألف صلاة وسلام — و انقطاع النبوة والأنبياء بعده ، و كونه خاتم الرسل ، و موضح السبل ، و إمام الكل ، من أجل مواهب الله تعالى و نعمه على هذه الأمة ، ورحمة بالانسانية الممزقة وترفيه لها ، وتوفير لجهودها وطاقاتها ، من أن تضيع فى غير سدى ، و فيما لم تكلفه ، وجامعة لشمل هذه الأمة المحمدية ، حافظة لوحدتها و أصالتها و قوتها ، باعثة لثقتها بنفسها ، وصلاحية دينها و خلوده ، و اعتبارها نفسها مسئولة عن اتجاه العالم و موقفه و مصيره ، حافزة على الاصلاح و التجديد ، و الجهاد فى سبيل الله فى كل زمان ومكان ، و هو الأساس المتين الذى يقوم عليه البناء الاسلامى ، كمجتمع و أمة ، و رسالة خالدة .

ألد أعداء الاسلام :

لذلك كان ألد أعداء الاسلام و أدهاهم و أمكرهم، و أضر

(١) رد تكفير أهله قبله . لمحمد على . ص : ٣٤ .

على الاسلام و المسلمين ، و أنفع لأعداء الاسلام و الكائدين له من ادعى نبوة جديدة — فى أى مفهوم من مفاهيمها — أو دعا إليها ، و تولى كبرها .

و صدق الله العظيم :

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ، و من قال سأنزل مثل ما أنزل الله ، و لو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت و الملائكة باسطو أيديهم ، أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ، ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة و تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، و ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم و ضل عنكم ما كنتم تزعمون (١) » .



(١) سورة الأنعام : ٩٣ — ٩٤ .

إعلان هام

تمت الترجمة الأردية لهذا الكتاب باشراف المؤلف ، و هى ماثلة للطبع ، كما أن الترجمة الانجليزية للكتـــاب ستتم عما قريب — باذن الله — .

و نرجو الله تعالى أن يقوم « المجمع الاسلامى العلمى » فى لكهنؤ باصدار الطبعتين الأردية و الأنجليزية فى وقت قريب ، و هو الذى يملك حقوق طبع هذا الكتاب ، فنرجو أن لا يعزم أحد على ترجمته أو طبعه ما لم يحصل على السماح بذلك من المجمع أو المؤلف .

مدير المجمع الاسلامى العلمى
ص . ب . ١١٩ لكهنؤ (الهند)



النبي الخاتم

بحث علمى ودراسة تحليلية فى اختتام النبوة وانقطاعها بعد محمد ﷺ

فى

ضوء الكتاب و السنة ، و تاريخ الديانات ، و فلسفة الاجتماع

بقلم

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

أمين عام ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

رقم ٨٨

١٣٩٩هـ المصادف ١٩٧٨م

الفهرس

العناوين	الصفحة

* * *